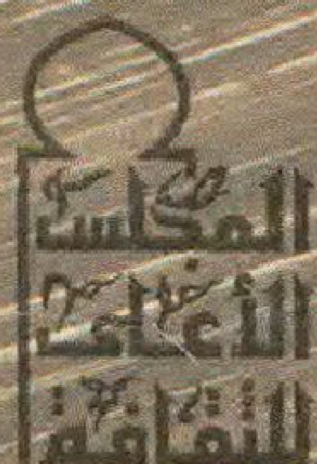
بدوى الجبل

مختارات شعرية



اختيار وتقديم

نبيل سليمان

اهداءات ٢٠٠٤

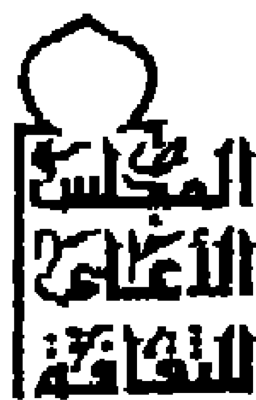
المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

المجلس الأعلى للثقافة

بدوى الجبل

مختارات شعرية

اختيار وتقديم : نبيل سليمان



٢٠٠٢

بـدوى الجبـل

مقدمة

منذ تقدم القرن العشرون في نصفه الثاني، أخذت الأجيال الجديدة الشابة تندفع نحو الشعر الحديث ـ أو شعر التفعيلة، كما غلبت التسمية في البداية– وفيما أخذ عود هذا الشعر يستقيم ويصلب، أخذ عود الشعر الكلاسيكي يذوي ويتقصف، وقد كان موت أعلامه علامة ذلك الكبرى أو الصغرى، لا فرق.

هكذا جاء موت الشاعر السوري بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) في ١٩٨١/٨/١٨ ليرسم مفصلاً حاسماً، على الرغم من أن العمر امتد من بعده بالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري حتى آذن القرن العشرون بالأفول.

من الحق أن بعضهم ـ وبعضهن بدرجة أدنى بكثير ـ ما فتئوا يرسلون الشعر الكلاسيكي، بيد أن ذلك بات يقترن غالبًا جدا بمناسبات قومية أو وطنية أو سياسية. ومن المفارقة الدالة هنا أن بعضًا ممن يرسلون الشعر الحديث، يعودون إلى الشعر الكلاسيكي، كلما تعلق الأمر بواحدة من تلك المناسبات، كموت رئيس أو زعيم أو قائد، أو تنصيب آخر، ولئن كان الجواهري قد أبقى لهذا الشعر ما يُدِلّ به، إلا أن موت بدوي الجبل كان ذلك المفصل الحاسم، فلماذا؟

* * *

سنبدأ بالجواب بما تداوله أعلام الشعراء والنقاد في شعر بدوي الجبل، منذ عشرينيات القرن العشرين حتى ثمانينياته، فالجواهري نفسه قال منذ ثلاثين سنة: "في العراق لم أحس بمنافسة أحد، لقد كنت أريد أن ألحق بالشعراء وأنا صغير، وغطيت عليهم وأنا كبير، أما في العالم العربي، فربما كان شوقي من الناحية الفنية، وليس من الناحية النفسية، أو السياسية، أو ناحية الموهبة، أما بدوي الجبل، فقد أحسست بضيق من وجوده، وحسبت له حسابًا، أما عمر أبو ريشة فلم أحسب له أي حساب".(١) ولكي ندرك مرمى الجواهري، علينا أن نسرع إلى قوله: "أكبر شاعر عُرِفَ في هذا العصر بدوي الجبل، وشاعر آخر"، وما عنى الجواهري بالشاعر الآخر إلا نفسه.

أما نزار قباني الذي لم يطلّق الشعر الكلاسيكي حتى رحيله، فقد قال: "بدوي الجبل: السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي، في حنجرته ألف لبيد وألف شريف رضي وألف أبي تمام.. لا تستطيع إلا أن ترفع قبعتك وتنحني باحترام أمام عبقريته"، وقد ذهب عبد الوهاب البياتي أبعد، إذ قال: "من يكتب شعراً بعد بدوي

الجبل، سنرميه بحجر". وإلى أدونيس نفسه ينسب القول بأن بدوي الجبل من شعراء القمة الكبار الذين انتهوا. وقبل ذلك بقليل أو كثير قال أمين نخلة: "بدوي الجبل أمير الشعراء وأوفى الأوفياء"، وقال سعيد عقل: "بدوي الجبل أحد قلائل الشعر في الدنيا"، وقال بشارة الخوري (الأخطل الصغير): "بدوي الجبل علم الشعر العربي في هذا العصر"، وقال عمر أبو ريشة: "يقف (بدوي الجبل) في الصف الأول من شعراء العالم العربي"، وقال شاكر مصطفى: "هذا سيد شعراء العرب دون منازع. بدوي الجبل: إنه الحجة الوحيدة الباقية في يد المدرسة الكلاسيكية". أما محمد روحي الفيصل الذي سلق بنقده شعر البدوي، فقد قال أيضًا: "شاعر يصدر عنه الشعر كما يصدر العطر عن الورد"، ولسوى أولاء ما يضاهي قولهم في شعر البدوي، من خليل مردم وشفيق جبري وعبد القادر مبارك ومصطفى الغلاييني ومحمد كرد علي ومصطفى الشهابي وجميل صدقي الزهاوي.. إلى محمد الحريري ومحمد عمران وأكرم زعيتر ونجاح العطار وسواهم.

قد يقال إن في مثل هذه الأقوال من المبالغة أو من الشخصي ما فيه، كما في نقيضها، غير أن ذلك لا ينال من دلالة إجماع هذه الأقوال على ما بلغه شعر بدوي الجبل، وهذا المبلغ هو الذي جعل موت الشاعر مفصلاً حاسمًا في تاريخنا الشعري الحديث، وهو الذي دفعنا إلى إعداد هذه المنتخبات من شعره، وإلى كتابة هذه المقدمة، فلعل ذلك أن يساهم في وصل المنقطع بين الأجيال، ويعمّق معنى الحلقات في السلسلة الأدبية، ويؤكد على التأصيل كي يصح التجاوز، فضلاً عن أن التخوم المتعالية في الفضاء الثقافي العربي، وغياب شعر بدوي الجبل عن كثير من هذا الفضاء، يجعلان من الضرورة بمكان، توفير مثل هذه المنتخبات ـ وربما مثل هذه المقدمة ـ والتي أبقى أقلّها على قصائد كاملة، وتوزع الباقي بين الانتخاب من قصيدة، وبين توزيع ما انتُخِبَ من قصيدة بعنوانات جديدة، وبما يُتوخّى أنْ يُجدد قراءة شعر بدوي الجبل، سواء في شواغله أمْ في أفانينه.

* * *

في قرية (ديفة) من القرى الجبلية المتناثرة قبالة الساحل السوري (مدينة اللاذقية) وُلِدَ بدوي الجبل عام ١٨٩٨، كما يبينُ قيده في السجل المدني، لكن الشاعر يذكر أن ذلك التاريخ هو لولادة شقيق له، توفي قبل أن يولد هو، ولم يرقّن قيده من السجل المدني، فلما وُلِدَ البدوي، حمل اسم شقيقه (محمد) وتاريخ ولادته، وقد كان ذلك مألوفًا في سورية لعقود طويلة من القرن العشرين، ويؤكد الشاعر أن تاريخ ولادته هو عام ١٩٠٥، بينما

يتراوح هذا التاريخ لدى الدارسين بين ١٩٠٢ لدى عمر الدقاق ومحمد الخطيب، و ١٩٠٨ لدى سامي الكيالي وحده، و ١٩٠٤ لدى أحمد الجندي وسامي الدهان وعلي إبراهيم.

أما نشأة الشاعر فقد كانت في قرية (السلاطة)، حيث انتقلت أسرته، قريباً من (القرداحة) مسقط رأس الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد. وينبغي التنويه هنا بوالد الشاعر: الشيخ سليمان الأحمد ١٨٦٨-١٩٤٢، الشاعر المتصوف الذي كان عضو المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٢٢، وله شروح على اللزوميات، وعلى ديوان المكزون السنجاري، ونظرات في ديواني أبي تمام والبحتري، ولبدوي الجبل شقيقان شاعران هما أحمد سليمان الأحمد وفاطمة التي حملت لقب (فتاة غسان) تيمناً بهند بنت جبلة الغسانية، وتوكيداً على النسب الغساني[٢]، ومن المهم هنا أن يُشار إلى أن النسب الديني والثقافي لنشأة الشاعر، يتصل بالصوفية الجنبلانية التي تعود إلى أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، أستاذ سيف الدولة الحمداني، وأستاذ المتنبي وأبي فراس الحمداني، فيما يؤكد كثيرون.

على يدي والده، كانت تربية بدوي الجبل الدينية والأدبية، وهو يصف ذلك في حوار لمنير العكش معه، فيقول: "بدأت القراءة بالقرآن الكريم، ثم قرأت على أبي رضي الله عنه، برغبةٍ منه، الحديث الشريف، ونهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو غاية الغايات في البيان، والإيمان، والفناء في الله، ثم قرأت على أبي بعد ذلك اللزوميات لأبي العلاء المعري، وكان معجباً بها، وله شرح على اللزوميات لم يكتب في اللغة العربية من طرازه عن أبي العلاء، ثم قرأت عليه رضي الله عنه المتنبي وأبا تمام والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي والحماسة لأبي تمام.

وكان أثناء قراءتي يفسّر لي المفردات والمعاني، ويلفت نظري إلى جمال الصور، ويصحح لي كل خطأ أُخْطِئُهُ عند التلاوة، ولا سيما عين المضارع"[٣]، ويضيف بدوي الجبل في هذا الحوار أنه قرأ على أبيه ديوان المكزون السنجاري عشرات المرات، وأنه يفضله على ابن الفارض، وأنه لم يتأثر بالمنتجب العاني، ولعله يكفي كي نتبين عدة بدوي الجبل ومشاربه الثقافية أن نقرأ أيضاً مما تحدث به لمجلة (الفكر) التونسية: "نشأت في بيت علم وفقه فتأثرت أول ما تأثرت بالقرآن الكريم الذي لا يمكن أن تشرق ديباجة الأديب إلا بالإدمان على تلاوته، ثم تأثرت بالحديث الشريف وبخطب الخلفاء الراشدين، ولا سيما خطب علي بن أبي طالب، كما تأثرت بخطب الحجاج وزعماء الخوارج.

أما بين الكتّاب فأنا مدين للجاحظ ولأبي جعفر الإسكافي ولأبي الفرج الأصفهاني في كتابه الخالد (الأغاني) ولأبي حيان التوحيدي، كما تأثرت في الشعر بديوان الحماسة لأبي تمام، وبشعر الفحول في عهدي الجاهلية والإسلام، إلى آخر العصر الأموي، وتأثرت بأبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي ومهيار"[٤].

والآن، ماذا عن هذا اللقب الذي حمله الشاعر، حتى لم يعد أحد يذكر اسمه؟

لقد أطلق اللقبَ الشيخُ يوسف العيسى، صاحب جريدة (ألف باء) الدمشقية، على ذلك الفتى المجهول الذي أرسل قصيدة إلى الجريدة، فنشرتها مذيلة باللقب، وتعلل العيسى لذلك بغواية الاسم المجهول للقراء، وقد ظل الفتى ينشر قصائده بلقبه الجديد عامًا بطوله، حتى قدمه العيسى لأعضاء المجمع العلمي العربي في حفل شاي، مفشيًا السرّ. ولئن كانت روايات اللقب تختلف ببعض التفاصيل، سواء ما سرده الشاعر نفسه أم سواه، فالثابت أن الشيخ يوسف العيسى هو من أطلق اللقب، وليس الملك فيصل ابن الحسين، كما ذكر عبد اللطيف اليونس، ولا الشاعر نفسه، كما ذكر محمد روحي الفيصل، وقد بلغ الاختلاف القصيدة المعنية نفسها[٥].

مهما يكن من أمر فقد أسرع بدوي الجبل إلى السياسة وأسرعت إليه، وهو لم يكد يمضي في المدرسة ثلاث سنوات متفرقة بين قرية عين التينة واللاذقية ودمشق، إذ عرفه متصرف اللاذقية رشيد الطليع الذي كان صديقًا للشيخ سليمان الأحمد، واصطحب طليع الشاعر الفتى إلى دمشق، فكان أن رافق الوفد الحكومي برئاسة وزير الحربية يوسف العظمة إلى الشيخ صالح العلي، قائد الثورة التي انطلقت في جبال العلويين ضد الاستعمار الفرنسي، منذ نزوله على الساحل السوري، في ١٩١٨/١١/٥، أي قبل احتلال دمشق بزهاء السنتين.

إثر ذلك قدم يوسف العظمة ـ وفي مصادر أخرى: الطليع نفسه، ومن قبل ـ إلى الملك فيصل، وتكررت مهمة الشاعر، قبل أن يلازم الشيخ صالح العلي شهورًا، حتى كان استشهاد يوسف العظمة في معركة ميسلون الشهيرة (١٩٢٠/١٠/٢٤)، واحتلال الفرنسيين لدمشق، فصدر أمر بتوقيف بدوي الجبل الذي تخفّى في دمشق في بيت البطريرك غريغوريوس حداد وسواه، ثم مضى إلى حماة، وكشف المخبرون أمره، فاعتقل وعوقب بالحفر وتكسير الأحجار قبل أن ينقل إلى سجن حمص، فسجن الديوان الحربي في بيروت حيث قضى سنة، اقتيد بعدها إلى سجن قلعة جزيرة أرواد ـ قبالة

مدينة طرطوس - فكان وربيع المنقاري أول من عرف هذا المعتقل من الساسة الوطنيين السوريين، وقد وشم البدوي على ذراعه ذكرى ذلك بهذه العبارة (تذكار السجن الفرنسي)، وقد أطلق سراحه بعيد ذلك عام ١٩٢٢ .

تلك هي المرحلة القصيرة المبكرة، المرحلة الوطنية الأولى من الحياة السياسية لبدوي الجبل، والتي ستعقبها مرحلة التعاون مع الفرنسيين حتى نهاية عام ١٩٣٦، لتلي المرحلة الثالثة التي عاد فيها إلى صفوف الحركة الوطنية إلى أن جلا الاستعمار عن سورية، وتابع الشاعر حياته السياسية في صفوف الرعيل الذي أنجز الاستقلال وحكم زمنًا قبل أن تقطّعه الانقلابات العسكرية، وترثه الجمهورية العربية المتحدة (الوحدة السورية المصرية ١٩٥٨-١٩٦١)، وكانت الحياة السياسية لبدوي الجبل قد انتهت قبيل ذلك.

لقد أعلن الاستعمار الفرنسي في تقسيمه لسورية (مقاطعة أراضي العلويين)، وعاصمتها اللاذقية، في ١٩٢٠/٨/٣١، ثم جعل من هذه المقاطعة (دولة العلويين المستقلة) تحت وصايته في ١٩٢٢/٧/١٢، أما بدوي الجبل، فقد انتُخِبَ في ١٩٣٠/٤/٢٥ عضواً في المجلس التمثيلي (البرلمان) لدولة العلويين، وكذلك في انتخابات ١٩٣٥/٤/٩ ، وقد جرّ عليه ذلك هجاء بعضهم، وبخاصة إثر توقيع سورية وفرنسا لمعاهدة ١٩٣٦، ومطالبة قلّة بتكريس الانفصال، بينما كان نداء الوحدة صاخبًا، وفيه ما ردّ به العلويون، من انطاكية إلى سائر أرجاء الدويلة الانفصالية على دعاتها، وكان في رأس خصوم أولاء زكي الأرسوزي الذي كان يتصدر مؤسسي عصبة العمل القومي في ثلاثينيات القرن الماضي، فمؤسسي حزب البعث العربي بعد أقل من عقد، والذي سيغدو منذ مطلع الخمسينيات حزب البعث العربي الاشتراكي.

على أن ما تنبغي ملاحظته هنا هو ما كان يترجّع في شعر بدوي الجبل، وبخاصة في بداية عهده الفرنسي الانفصالي، من إلحاح على الوحدة، وعلى المقاومة، وليس أقوى من ذلك في الدلالة على التناقض الذي كان بدوي الجبل يعيشه بين الفنان والسياسي. فمنذ عام ١٩٢١ أشارت قصيدته (حياة أسير القيد لفظ بلا معنى) إلى تقطيع الاستعمار لأوصال الوطن، وإلى النزوع الوحدوي في جبل العلويين، وإلى الخونة الانفصاليين، ومنها:

يريدون هذا البعدَ بيني وبينكم فلا نَعمُوا بالأ ولا صحبوا يُمْنـا
لئنْ خانَ عهدَ الغوطتين عصابةٌ رأوا بيعَهم ربحـًا وألفيتُهُ غبْنـا
ففي الجبلِ النائي لعصبةِ جلّقٍ من القومِ خلٌّ لم يخنْ في الهوى خلّنا

وفي السنة نفسها تنشر له جريدة (ألف باء ـ ٢٤/١٠/١٩٢٠) قصيدة (تحية الجنرال) بتوقيع (وطني لا ييأس)، ويؤكد هاشم عثمان أن الشاعر اعترف في إحدى جلساتهما أن القصيدة قصيدته، وهي في مديح جنرال فرنسي، لم يضمها ديوانه، وأثبتها هاشم عثمان في كتابه (بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة)(٦) ، ومنها:

أسدٌ أطلَّ على الشآمِ فهلّلتْ　　وكذا تكونُ تحيةُ الآسادِ

بسمتْ لوجهِكَ مرتين(٧) ورحّبتْ　　أمجادُها بليوثِكَ الأمجادِ

ويحمل البدوي في هذه القصيدة على السياسة، وينفض يده منها قائلاً:

كنّا فلاسفةَ السياسةِ مدةً　　فاليومَ نحنُ بها من الزهّادِ

يا للسياسةِ كم نفوسٍ أزهقتْ　　ودمٍ هما ملءُ الصعيدِ جمادِ

واليومَ ودّعتِ السياسةَ جلّقٌ　　فارتاحَ حاضرُ جلّقٍ والبادي

وله قصيدة أخرى لم يضمها ديوانه، وأثبتها هاشم عثمان في كتابه المذكور وصالح عضيمة في كتابه (هذا هو بدوي الجبل)(٨)، هي قصيدة (عواقب الجهل)، التي نشرتها مجلة (العرفان) اللبنانية (آب ـ أغسطس ١٩٢١) وفيها يحمل الشاعر على الشيخ صالح العلي والثوار، ويمتدح من الفرنسيين الضابط (نيجر)، ومنها:

وليث من الإفرنسِ صعبٌ مراسُهُ　　صؤولٌ وأفواهُ المنايا فواغرُ

أنيجرُ رفقاً بعد ذاك ورحمةً　　فأنتَ على ما شئتَ بالقومِ قادرُ

همُ قتلوا والجهلُ سلَّ سيوفَهم　　وهمْ أثموا والجهلُ في الإثمِ آمرُ

آنئذٍ، ومهما اختلفت الروايات في تاريخ ميلاد الشاعر، فقد كان ـ بالكاد ـ في العشرين، وفيما راح يغذ الخطى مع الفرنسيين والانفصاليين، سنرى في شعره ما ينقض ممارساته السياسية، ففي سنة ١٩٢٢، وفي قصيدة (لبنان والغوطتان) التي ألقاها في حفل تكريمٍ في مدينة جونيه اللبنانية لشاعر القطرين خليل مطران، نقرأ:

للضـــاد ترجعُ أنســـابٌ مفرَّقـةٌ فالضــــادُ أفضــــلُ أمٍ بـرّةٍ وأبِ
هل لابنِ دجلةَ حقٌّ غيرُ مغتَصبٍ أمّ لابنِ جلّقَ إرثٌ غـــــيرُ منتَهَبِ
لأرحلنَّ فلي في الأرضِ متَّسَـعٌ إنْ ضاقَ بي صدرُ هذا الموطنِ الرحبِ

وفي السنة التالية حيّا الحسين بن عليّ في عمّان بقصيدة (تحية الملك) ومنها:

وحّـد العربَ وأســـعدْ أمـــةً ســادت العالمَ في ماضي الســـنينْ

وعندما أقام المجمع العلمي العربي في دمشق حفلاً تأبينيًا للمنفلوطي وللألوسي عام ١٩٢٤، ألقى البدوي قصيدة (تلك الأقانيم الثلاثة)، ومنها:

تلك الأقـانيـــمُ الثـلاثةُ واحـدٌ بردى الشـــآمِ ودجلةٌ والنيــلُ
هذا هو الحقُّ الصراحُ فـحسبُكُمْ قـولُ الســياسـيةِ كلُّه تـدجيــلُ

وفي السنة نفسها، وفي قصيدة (على أطلال الجزيرة العربية) نقرأ:

ولقد أقـولُ لغاصبينَ مشـــوا بهـا مرحًا وأثقـلَهـا الشــقاءُ وآدَها
أقـبلْتمُ كالمرشـــدينَ وساءَكم بعـدَ الكرى أن تســتبينَ رشـادَها

ونقع على مثل ذلك ـ أخيرًا وليس آخرًا ـ في قصيدة (طمع الأقوياء ـ ١٩٢٤)، وبخاصة إشارته إلى الاستعمار:

يا بـــني أمٍّ هبّـــةً بعــد نومٍ كشــفَ الصبحُ بالضيـاءِ الظـلامـا
أيهـا الأقـوياءُ لينــًا وعطفــًا أشـــعـوبًا ترعونها أم سَـوامَا
في رمادِ الضـــعيفِ نـارٌ فمهلاً إنّ ظـلْمَ القـويّ يُذْكي الضِّـراما

لقد شهد عام ١٩٢٤ حضورًا قويًا لشعر البدوي المتناقض مع ممارساته السياسية، فإلى قصائده السابقة ألقى في المجمع العلمي العربي في دمشق أيضًا قصيدة (أهوى الشآم) و(تعالوا نعدّ الصيد)، وفي جمعية الشباب العربي في بيروت، ألقى قصيدة (تحية الشباب) في مدرسة اللاييك الفرنسية، ومنها قوله محرضًا الشباب اللبناني ضد الطائفية:

هذا أســيرُكِ يا مـذاهـــبُ ملّـهُ عضُّ القيـودِ، ألم يـئنْ إفلاتُــهُ؟

وفي السنة التالية صدر ديوانه الأول (ديوان بدوي الجبل ـ الشفق) عن مطبعة العرفان في صيدا (لبنان) فاحتفى به أعلام الأدباء، مثل محمد كرد علي وخليل مردم والأخطل الصغير وعبد القادر المغربي الذي أطلق على الشاعر لقباً آخر هو (الشاعر الفتى)، وقد عارض بدوي الجبل في هذا العام (١٩٢٥) قصيدة شوقي في (زحلة) اللبنانية، ونشرت جريدة (الأحرار) القصيدتين معاً تحت عنوان (لبنان بين شاعرين)، ثم التقى بدوي الجبل بأحمد شوقي في بيروت، لأول مرة.

بعودة دولة العلويين إلى الوطن الأم (١٩٣٦/١٢/٥) انتهت المرحلة الثانية من حياة بدوي الجبل السياسية، مرحلة التعاون مع الفرنسيين، ولم يسلم هذه المرة أيضاً، ولكن ممن ظلوا انفصاليين (حملة جريدة البشير اليسوعية البيروتية ـ مثلاً).

وفي عام ١٩٣٨ احتُفِلَ باليوبيل الذهبي لوالد الشاعر: الشيخ سليمان الأحمد. وفي هذا العام حضر البدوي في القاهرة المؤتمر البرلماني العربي من أجل فلسطين، بصفته نائباً في مجلس النواب السوري، وفيما عادت فرنسا إلى إثارة الانفصاليين في شرق سورية (الجزيرة) وساحلها وجبله (ما كان دولة العلويين) وجنوبها (جبل العرب أو جبل الدروز)، نشط بدوي الجبل في عداد (الكتلة الوطنية) الحاكمة، ضد المحاولات الفرنسية، وهو ما انتهى، مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، بالعودة إلى تقسيم البلاد. ولأن بدوي الجبل وقف مع من قاوموا ذلك، اضطرّ إلى أن يلجأ مع أسرته إلى العراق. وفي هذه السنة (١٩٣٩) كان قد كتب قصيدة (مصرع الشمس) مؤبناً الملك غازي (العراق) الذي كان أمثولة للشبان القوميين، كما كتب بدوي الجبل في هذا العام قصيدة (تحية فيصل الصغير)، وليست هاتان القصيدتان، ومن قبلهما قصيدته في الحسين بن علي (تحية الملك) إلا واحدة من الإشارات الجمة إلى تعلق بدوي الجبل بالعرش الهاشمي، تعبيراً عن المثال الروحي للشاعر من جهة، وعن نزوعه القومي الوحدوي من جهة أخرى، ليس ابتداءً بقصيدته (على أطلال الجزيرة العربية) ولا انتهاءً بإهداء ديوانه الثاني إلى الملك فيصل بن عبد العزيز.

في ملجئه البغدادي عمل الشاعر مدرساً في معهد المعلمين في بغداد، وبلغ نشاطه من أجل سورية ما جعل فرنسا تطالب بإخراجه من بغداد. وعندما احتلت ألمانيا باريس كتب قصيدته (إني لأشمت بالجبار) والتي ستشيع باسم (سقوط باريس) وباسم (يا سامر الحيّ) وستدوي في أرجاء العرب منذ ألقاها في احتفال نادي (المثنّى) البغدادي بذكرى الثورة العربية التي قادها الحسين بن علي عام ١٩١٦ من الحجاز.

ولما اندلعت في بغداد عام ١٩٤١ ثورة رشيد عالي الكيلاني، انخرط بدوي الجبل في صفوفها، وكتب قصيدته (دمعة على الشام)، وبإخفاق الثورة عاد إلى اللاذقية، فَزُجَّ في قلعة (كسب) شمالي اللاذقية، حتى وصول القوات الإنكليزية والقوات الديغولية الفرنسية، حيث نقل من معتقله إلى الإقامة الجبرية في منزله باللاذقية إلى أن أطلق سراحه، وإبان ذلك توفي والده (١٩٤٢)، وقد كانت قصيدته الأولى بعد إطلاق سراحه في ذكرى الزعيم التاريخي إبراهيم هنانو، وهي قصيدة (آلام).

من بعد عاد بدوي الجبل إلى الحياة السياسية نائبًا عن اللاذقية، في البرلمان الأول بعد إعلان الاستقلال عام ١٩٤٣، وقد شارك عام ١٩٤٤ في ألفية أبي العلاء المعري - مع طه حسين والمازني وعمر أبي ريشة وآخرين - بقصيدته (إيهٍ حكيم الدهر). وعندما صبّ الفرنسيون حممهم على دمشق (١٩٤٥) تطوع بدوي الجبل مع نواب آخرين - منهم أكرم الحوراني - في الدرك للدفاع عن البرلمان، كما ساهم في مقاومة العدوان الفرنسي على اللاذقية، وقرر الفرنسيون - فيما يروي رياض رويحة - اغتياله. لكن الأمواج هدأت به حتى ابتدأت الانقلابات العسكرية في سورية، فأمر قائد الانقلاب الأول حسني الزعيم (١٩٤٩) باعتقاله، لكن محافظ اللاذقية آنئذٍ (سعيد السيد) والمكلّف بالاعتقال، هرّب البدوي بسيارته إلى بيروت، وكان البدوي قد انخرط في صفوف الحزب الوطني الذي آلت إليه الكتلة الوطنية.

بعد أربع سنوات أمر قائد الانقلاب العسكري الجديد (أديب الشيشكلي) باعتقال الشاعر، فيمّم إلى العراق، وشارك في حفل تتويج الملك فيصل الثاني بقصيدة (يا وحشة الثأر)، وكانت الحكومة العراقية تسعى لاستقطاب الزعماء السوريين، فمنحت بدوي الجبل وسام الاستحقاق، لكنه رفض الوسام، وعاد إلى سورية نهاية عهد الشيشكلي عام ١٩٥٤، ليغدو وزيراً في عدة وزارات، وبفعل تداعيات حلف بغداد في سورية، تفكك الحزب الوطني، وانشق عنه بدوي الجبل مع آخرين، إلى أن انكشف أمر المؤامرة العراقية الانقلابية على سورية، بالتوازي مع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وكان بدوي الجبل ضالعًا في المؤامرة - وهو ما تنفيه أسرته - ففرّ إلى بيروت، وأقام فيها خمس سنوات، كان يشارك أثناءها في ندوة الخميس التي تنظمها مجلة (شعر)، وإثر المحاولة الانقلابية للحزب السوري القومي الاجتماعي في لبنان عام ١٩٦١، أُمِرَ بالمغادرة، فمضى إلى استنبول، ثم تطوح بين روما وتونس وفيينا وجنيف التي أقام فيها قرابة السنة، قضى خمسة أشهر منها مريضاً.

عارض صاحب الشعر القومي الوحدوي دولة الوحدة السورية المصرية، وسلق جمال عبد الناصر بشعره. وهو من صرح لإذاعة القاهرة ـ كما نقلت الصحف ومنها جريدة البلاد ١٩٥٦/١/١٥ ـ إثر لقائه بعبد الناصر، مؤكداً على أن من واجب كل عربي يمر بالقاهرة أن يتعرف على شخصية الرئيس عبد الناصر، لأن هذا الزعيم الكبير هو ملك لجميع العرب، لا لمصر وحدها، ولعلّ علينا هنا أن نلتفت إلى إيثار الشاعر في شعره للعادل المستبد على ما يعدُه من ظلم الجماهير، كما في قوله: "حبّذا الحكمُ عادلاً مستبدا" وفي قوله:

إن شـــــرَّ الأمورِ ظـلمُ الجمـاهيـرِ   وأهْـــونُ بالظـلمِ إنْ كانَ فـــــردا

وهو مَنْ أبدى وأعاد في فردية عبد الناصر وسواه.

على الرغم من معارضة الشاعر لعبد الناصر، فقد جعله الانفصال الذي أودى بالجمهورية العربية المتحدة، ينتظر سنة قبل أن يسمح له بالعودة، مفوتًا عليه المشاركة في الانتخابات النيابية، والعودة إلى الحياة السياسية، وإثر انقلاب ٨ آذار ـ مارس ١٩٦٣ الذي جاء بحزب البعث العربي الاشتراكي إلى الحكم حتى اليوم، عوقب بدوي الجبل مع كثيرين من رعيله بالعزل لمدة عشر سنوات، فغادر إلى فيينا، وفيها كتب قصيدته (البلبل الغريب) التي أثارت شفيق جبري الملقب بشاعر الشام، فكتب قصيدة (بلابل دوح)، فحياها البدوي بقصيدة (حنين الغريب) وكانت جنيف قد صارت مقامه.

من الطريف المؤسي هنا أن الوزير البعثي السابق، والأديب والمترجم اللامع سامي الجندي، بعدما صار مصيره ـ وعلى يد رفاق الأمس ـ كمصير البدوي المنفي، كتب: "عندما صدر مرسوم عزله السياسي ضحكت، وأوغلت في الضحك، فسألني صديق: لِمَ؟ قلت ما أبشع ألا يذكرني التاريخ إلا بشطر يهجوني فيه، أو بعض شطر.

مهما جهدت في تصوير مرارتي وأنا أمهر المرسوم بتوقيعي، لن أستطيع. كان قرار أكثرية، والسياسة تفرض على السياسي أن يكون دائمًا مع القطيع ضد رؤاه، تلك هي حكمة المرحلة التاريخية (...) وقد يقول كاتب بعد ألف عام إننا كنا نعيش بداية الأمر في شعر هذا المنفي بيننا: البدوي"[٩].

هكذا خرج الشاعر من الحلبة السياسية، وهو القائل: "لا بارك الله في الساعة التي جرني فيها الضعف الإنساني إلى النيابات والوزارات" كما ينقل عنه أكرم زعيتر، صديقه الذي قدم لديوانه الثاني.

لكن نكد الدهر على بدوي الجبل تواصل، ففجع بابنه عدنان الذي توفي عام ١٩٦٨ عن اثنتين وثلاثين سنة، وكان ممن عزّوا البدوي (شاعر الأهرام) محمد عبد الغني حسن في قصيدة نشرتها مجلة (الأديب) اللبنانية، ومنها:

أنتَ غنيتنا زماناً فدعْنا بالدموعِ الغزارِ نبكي زمانا

نكبةُ القدسِ لم تدعْ لكلينا منبعاً للبكاء ولا أحزانا

لم تعدْ رنّةُ النواقيسِ فيها مثل أمسِ ولا الآذانُ آذانا

نعيُ عدنانَ هزّ منّا فؤاداً يا صديقي وهزّ كيانا

وفي العام نفسه تعرض الشاعر لاعتداء جسدي فادح، أورثه لجلجة في النطق. وبعد نجاته، فيما يروي هاشم عثمان، دأب السفير المصري في دمشق على زيارته يومياً في منزله، ونقل إليه رغبة جمال عبد الناصر في استضافته، فقال: "عبد الناصر طوق عنقي". وحين ذكّره عثمان بما قاله في عبد الناصر، أردف: "لقد أخطأت في حقه".

عقب هزيمة ١٩٦٧ كتب بدوي الجبل قصيدته (من وحي الهزيمة)، فذاعت نيوع قصيدة (إني لأشمت بالجبار)، وقد أساءت القصيدة - التي وُصفَتْ بالعاصفة - منَ النظام مَنْ أساءت، فطُعِن الشاعر بالسكين في رأسه وهو يمارس رياضته الصباحية خارج منزله، ثم اختطفَ إلى قبو، وكان ذلك في ١٩٦٨/٤/٢٧.

أشارت الأصابع إلى رئيس المخابرات عبد الكريم الجندي، وإثر تدخّل وزير الدفاع آنئذ اللواء حافظ الأسد، رُمِيَ بدوي الجبل في أحد مشافي دمشق في ١٩٦٨/٤/٣٠، وظل في الغيبوبة أربعين يوماً، وقد عاش ما تبقى له منزوياً، حتى كانت وفاته في ١٩٨١/٨/١٨، حيث دفن بجانب ضريح والده في قرية السلاطة.

* * *

كأي مبدع إشكالي كبير، كان بدوي الجبل موضع خلاف وقدح ومدح. وقد يسّر تعاونه مع الفرنسيين السبيلَ على من قدح، لكن الشاعر اعتذر عما كان منه، وتعلل له غير مرة، ومن ذلك ما ردّ به على حملة جريدة (البشير) التي سبقت الإشارة إليها، حيث قال: "لقد أسأت يا سيدي وأحسنت، والحسنة الواحدة بعشر سيئات، على أنني لا أريد هذا الحساب ولا أقبله، بل حسبي أن تكون الحسنة بدل السيئة، لا أكثر ولا أقل،

وأنا في هذا الحساب لن أكون أمام الأمة العربية ولا أمام ضميري مديناً، بل أنا واثق أنني سأكون الدائن الغني، وأستغفر الله على هذا الزهو، فما أريد به منّاً ولا فخراً"، وفي مقام آخر قال: "إنني لم أنكر موقف الضعف الذي وقفته سنة ١٩٣٠ الذي دفعتني إليه أعصاب أرهقها الطغيان وحداثة سنٍّ لها حكمها، وسيطرة اليأس على النفوس في تلك الفترة العصيبة".

رافقت الحرارة والمبالغة - غالباً - قدح الممارسة السياسية لبدوي الجبل، من ماضيه مع الفرنسيين إلى ماضيه مع الرعيل الذي دأبت الانقلابات العسكرية والأحزاب الثورية على وصمه بالرجعية، وفي أحسن حال، بالليبرالية. وعلى الرغم من ذلك ظلّ شعر الشاعر - غالباً أيضاً - في منأى، وهو ما ساعد عليه بُعْدُ العهد وتقلّب الأحوال، مثلما كان الأمر مع المتنبي وكافور، أو مع شوقي وعرابي أو أو.. حيث يمضي الشاعر، ويبقى من شعره ما يبقى، وإن يكن لم يعدم ولن يعدم من يعود إلى رمي الشعر بسيرة صاحبه، مثلما كان لبدوي الجبل على يد صالح عضيمة في كتابه (هذا هو بدوي الجبل)، والذي يعتمد بخاصة على السماع ممن عايشوا الشاعر في مقتبل حياته.

يقول عضيمة: "فلم نكتب هنا خبراً واحداً لم نطمئن إلى صحته وسلامته، ولم نأت على سرد أي حديث ما لم نكن قد سمعناه من هؤلاء ومن غيرهم، وما لم يكن متواتراً وذائعاً صيته"، وبمعزل عن القيمة العلمية للسماع في عالم اليوم، لا يشك عضيمة في أن الناس جميعاً سيكون لهم هذا الكتاب مفاجأة "لكنهم سيشهدون أن هذه المفاجأة العجيبة جاءت في محلها"، ولا يشك عضيمة أيضاً في أن الشاعر بعد هذا الكتاب "سيهون شأنه في الشعر عند كثير من الناس، كما هان شأنه في السياسة".

ينفي عضيمة ما هو ثابت تاريخياً مما كان للبدوي بين الشيخ صالح العلي أثناء ثورته، وبين المركز في دمشق، كما ينفي أن يكون البدوي قد ألقى محاضرة في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم تنهال الاتهامات والشتائم، فالبدوي منافق في حياته وقصائده، وقد كتب قصيدته (الكعبة الزهراء) في مطلع ستينيات القرن الماضي، لأن انعقاد المؤتمر الإسلامي كان وشيكاً.

تتوالى فصول كتاب عضيمة لتشخّص في شعر الشاعر ظواهر النهب والخطف والاختلاس والاجترار والقصور في الأداء.. وابتداءً من تقريره أن الشعراء في تاريخ البشرية جميعاً، نهابون في طورهم الأول، يقرر أن بدوي الجبل نهب من شعر من عاصرهم ومن تقدموه، وحسبنا منه هذا المثال الذي لعله يكون كافياً، حيث يأتي ببيت

للبدوي، ويشير إلى المنهوب أبي اسحاق الصابي، ثم يقرر أن هذا المعنى شائع بين الشعراء، وحين يشير إلى نهب البدوي من ابن الرومي ومن أبي تمام، يجزم أن الناهب لم يقرأ هذه المصادر ولم يعرفها "فلم يبق إلا أنه تعرف على واحد منها، في بعض المعاجم المتداولة"، وقد يصل الأمر بالمحقق في النهب أن يجزم بوقوع النهب من شاعر "هرب من ذاكرتي اسمه".

لا يقبل عضيمة بوقوع الخف على الخف ولا الحافر على الحافر، ويساوي بين المعارضة والنهب، كما في مقارنة له بين أحمد شوقي وبين البدوي، وفي مقارنة أخرى، بين الشاعرين، تكون البينة على الخطف كلمة تداولها الشاعران، وإن بتصرف:

قال أحمد شوقي:

ما بين شـــــادٍ في المجالـسِ أيكُهُ ومـحجّبـــــاتِ الأيكِ في الأرواحِ

وقال بدوي الجبل:

شـــاد على الأيك غنّاها فأشـجانا تباركَ الشـــــعرُ أطـــياباً وألحانا

وينتهي عضيمة إلى أن شعر البدوي في عبد الناصر، جاء استجابة لأجهزة أمنية، وأن قصيدته (من وحي الهزيمة) قد جاءت استجابة لإغراءات تجار النفط وسماسرة الحق العربي والشرق الإسلامي.

بالطبع، ستظل الممارسة السياسية لبدوي الجبل، ولأيٍ ممن يقضون، قائمة في التاريخ السياسي، وقد تظل فاعلة في الوجدان، وسواء أغُفِرَ لبدوي الجبل ما تقدم من تعاونه مع الفرنسيين وما تلا، أم لم يُغْفَرْ، فوكدنا ليس هنا، إلا بقدر ما يتصل الأمر بإشكالية المبدع ـ السياسي- بل الوكد هو شعر بدوي الجبل، فلنتابعْ.

* * *

ذكرنا أن الديوان الأول لبدوي الجبل صدر عام ١٩٢٥، وهذا الذي كان قد ابتدأ يممّ صوب الانفصاليين والفرنسيين، صدّر ديوانه الأول بهذا الإهداء إلى رمز الشهادة الوطنية في سورية: يوسف العظمة: "إلى مثال البطولة العربية، إلى الشهيد الراقد في ميسلون، إلى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الخياة"، ومن المفارقة أن الديوان التالي لبدوي الجبل لم يصدر إلا عام ١٩٧٨، أي بعد ثلاث وخمسين سنة من الديوان الأول، على الرغم من أنه كان بوسعه ألا ينتظر إلا أقل القليل من ذلك، ولئن كان انخراط الشاعر في العمل السياسي يفسّر هذا الانتظار حتى اعتزاله هذا العمل

منذ نهاية خمسينيات القرن الماضي، فما الذي جعله ينتظر من بعد، وهو الذي وعد منذ عام ١٩٦٣ بالديوان ويكتب أخرى فقال: "إنني الآن في طريقي إلى أوروبا، وعندما أعود بعافيتي إن شاء الله، سأنصرف إلى تهذيب بعض كتبٍ لي في الأدب والتاريخ، ولا سيما تاريخ الحركات العربية التي رافقتها وعرفت زعماءها واحداً واحداً، وكان لي شرف المساهمة بقسط متواضع فيها، كما أن لي ديوان شعر تحول بعض الظروف دون طبعه الآن، وأرجو أن يتهيأ لي ذلك قريباً إن شاء الله"[١٠].

لم يتحقق من وعد الشاعر غير ديوانه الثاني، كما لم يتحقق وعده بسيرته الذاتية التي أعلن انتهاءه من كتابتها عام ١٩٧١[١١]، أما الديوان الثاني فقد تذيّل تحت عنوان (البواكير) بأغلب الأول، لكن للشاعر أيضاً قصائد نُشِرَتْ في الدوريات، ولم يضمّها أيّ من ديوانيه، ومنها قصيدة (سعد والكنانة) التي ظهرت في جريدة ألف باء في ١٩٢٠/١٠/٦، وفيها نقرأ:

إيه يا سعدُ زادكَ اللهُ سعداً ... ابنِ ما شئتَ للكنانة مجدا
قبلَ مصرَ وقبلَ بُعْدكَ عنها ... ما عرفنا المحبَّ يحمدُ بُعْدَا
زادَها النيلُ بهجةً وجمالاً ... وحباها فيه سلامًا وبُرْدَا
وظباءٌ مثلِ الملائك طُهْرًا ... ما هوتْ غيرَ مصرَ قبلاً وبَعْدَا
إيه شوقي يا ساجعَ النيلِ غرّدْ ... وامنحِ النيلَ من مغانيكَ عقدا
ذُبُلَ الرّنْدُ والأقاحُ فأنعشْ ... بأغاني الهوى أقاحًا ورَنْدًا

ومثل ذلك قصيدته (إلى عبد الوهاب) التي نُشِرَتْ في مجلة الأماني اللاذقانية (نيسان - إبريل ١٩٣١) ومنها:

يا بلبلَ الوادي ومؤنسَ دوحه ... ومديلَ بهجته من الأيامِ
روِّ النفوسَ الظامئات وعاطِها ... كأسيكَ من سحرٍ ومن إلهامِ
آمنتُ بالآلامِ وهي مريرةٌ ... العبقريةُ منحةُ الآلامِ
خلعتْ عليكَ جلالَها وجمالَها ... وجزيْتَها بعرائسِ الأنغامِ
تبلى العيونُ وقد تعيدُ حياتَها ... نفسٌ معذّبةٌ وقلبٌ دامِ

وللشاعر قصائد كذلك ضمّها ديوانه الأول، وغابت عما حضر منه في الديوان الثاني، كقصيدة (ويلي على أمم الشرق) التي كتبها إثر انقسام الوفد المصري، ومنها:

إنْ تَجْرِ يا نيلُ بعدَ اليومِ فاجْرِ دمًا   على ربى مصرَ وابك التاج والعلما

ماذا دَهَا مصرُ حتى ريضَ جانحُها   وما دها شعبَها المظلومَ فانقسما؟

ويلي بمصرَ على شعب إذا فَغَرتْ   له المظالمُ فاهًا ظلَّ مبتسما

أبناءَ مصرَ يفي مصراً وتربتَها   قطرٌ يسيلُ على الأرجاء منسجما

يا سعدُ يا سعدُ والأقدارُ غامضةٌ   والله سعدُكَ ما ولّى وما انهزما

ويل السياسة ما أوهى مودتَها   تقضي فلا موثقًا ترعى ولا ذمما

تصدرت الديوان الثّاني مقدمة مطولة لأكرم زعيتر الذي يحمّله هاشم عثمان جريرة العبث في القصائد: حذفًا لبعضها من الديوان الأول، وتبديلاً بعنوانات بعضها، وإضافة أبيات وحذف أبيات وتعديل أبيات وتبديل مفردات في بعضها، وتوزيع قصيدة اللهب القدسي على ثلاث... وقد أسهب هاشم عثمان في تبيان ذلك، كما أثبت ما غاب عن الديوان الثاني من الأول، وما غاب عن الديوانين[١٢]. إلا أن الجريرة - إن كانت ثمة جريرة - لا يتحملها أكرم زعيتر، فهو من أقرب المقربين إلى بدوي الجبل طوال عقود. وكل ما في الأمر، في نظرنا، هو أن الشاعر نفسه قد دقق في شعره، وهو أمر معروف فيما بين النشر في دورية والنشر في ديوان، بل فيما بين طبعة من ديوان وأخرى. ويبقى للمحقق أو للمؤرخ أو للدارس أن يقارن ويستنتج، لا أن يحرّم على الشاعر أن ينظر في شعره ما دام حيًا، وتوكيدنا على ذلك مرده، ليس فقط صداقة بدوي الجبل وأكرم زعيتر، بل صدور الديوان قبل وفاة الشاعر بثلاث سنوات، فضلاً عن أنه كتب لزعيتر ما يؤكد تدقيقه في القصيدة قبل أن يرسلها: "وقد كنت رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً وأنا أنظم قصيدتي (البلبل الغريب) في فيينا، وقصيدتي (حنين الغريب) في جنيف، وكنت أستشيرك في كل نغم، وأسارّك في كل ألم، وأنتقي وإياك المفردات، ونغير هنا كلمة، ونبدل هنا كلمة...". وإن كان من أسف على أن الديوان لم يضمّ كل ما كتب الشاعر حتى عام ١٩٧٨، فالأسف أكبر على أن شيئًا لم يظهر بعد مما لم يُنْشَرْ للشاعر، سواء في الشعر أم في سواه.

* * *

أهدى بدوي الجبل ديوانه الثاني إلى (الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود)، وجعل من خاتمة كلمته في رثاء فيصل ـ كما نشرتها جريدة الحياة في ١٩٧٥/٣/٢٨ ـ نصّ ذلك الإهداء: "لقد حرمك استشهادك أن تصلي في المسجد الأقصى، ولكن استشهادك سيكتب في لوح القدر أن يصلي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في المسجد الأقصى، وستكون ذكراك وأحزانك وإيمانك النفحة السمحة الساجية عندما يؤذن المؤذن فيه: الله أكبر".

ولعل من الأوفى لتبيّن تطور تجربة الشاعر الفنية والروحية، والعلامات الفارقة في هذه التجربة، أن يبدأ المرء من ذيل الديوان (البواكير) حيث جلّ ما ضمّه الديوان الأول لبدوي الجبل، واللافت هنا هو وفرة القصائد التي تلون المقاطع واللوازم والقوافي، ابتداء من قصيدة (مرابع الأحباب ـ ١٩٢٠) التي جاءت في هيئة رباعيات، أما قصيدة (الشاعر والبؤس ـ ١٩٢١) فقد ابتدأت ببيت قافيته من قافية اللازمة، ثم تلا المطلع مقطع من خمسة أبيات قافيتها هي قافية اللازمة ـ البيتان التاليان. وتوالى بعد ذلك بناء القصيدة مقطعًا فمقطعًا، وكل مقطع من خمسة أبيات تختلف قافيته، وتختمه اللازمة، وهذا ما نجده في قصيدة (أي أمر ساءها ـ ١٩٢١) التي تبتدئ بأبيات هائية القافية، فاللازمة بالقافية نفسها، ثم يأتي مقطع مختلف القافية، فاللازمة الهائية، أما قصيدة (مي في وطنها ـ ١٩٢١) فقد اكتفت بالمقاطع التي تتلون قوافيها، دون اللازمة.

إذا كانت هذه المحاولة الحييّة والمحدودة في الخروج على مألوف بناء القصيدة الكلاسيكية، تتأسس في التراث الشعري أيضًا، وأقربه هنا: التوشيح، فلعل المحاولة تومئ إلى تململ الشاعر الفتى وطموحه، وهو من برهن على تمكنه من البناء الكلاسيكي للقصيدة، وهكذا ستظل محاولته تتلامح في ديوانه الأول بين قصيدة وأخرى (الروح الثائرة: ١٩٢٢ ـ البلبل الصريع: ١٩٢٢ ـ نشوة اليأس: ١٩٢٢ ـ لا تحبيني: ١٩٢٣ ـ عاطفتي: ١٩٢٣ ـ أغنية البرتوني: ١٩٢٣ ـ لا تذكري الماضي: ١٩٢٣ ـ شعاع العيون: ١٩٢٤ ـ دموع ودموع: ١٩٢٥ ـ أنا وهي: ١٩٢٥).

تشير ملاحظة تواريخ القصائد إلى تراجع محاولة الخروج، وهو ما ستحسمه قصائد الديوان الثاني جميعًا، وكان الشاعر قد عبر عن تلك المحاولة في بعض قصائده الأولى. ففي قصيدة (حياة أسير القيد لفظ بلا معنى) يقول:

يظنونَ أنَّ الشعرَ وزنٌ وطالما   قرأتُ من الأشعارِ ما خالفَ الوزنا

وفي قصيدة (تحية الشباب) يقول في الجديد والقديم:

قالوا: الجـديدُ فقلْتُ من أنصـــــاره قلمُ الحكيـــمِ وزقُّـــهُ ودواتُــــهُ
فيه هنــــاتٌ لا أقولُ ذميـمـــــةٌ بعضُ الملاحة في الجمـالِ هناتُــهُ
وأرى القديمَ يحولُ عن حســـــناته فـتضـــيعُ بينَ ذنوبه حســــــناتُهُ

وسنرى الشاعر أجلى تعبيراً عن ذلك فيما كتب في مجلة (مينيرفا) عام ١٩٢٤، ومنه: "لقد قلنا إن الخليل تتجلى إجادته عندما يكون مبتكراً في موضوعاته وأوزانه ورنّات شعره، وهذا ما يفهم منه كل قارئ أننا من أنصار التجدد في الأدب العربي، التجدد الصحيح الذي لا يهدم بناء اللغة العربية في الخروج على قواعدها اللغوية. هذا الخروج الذي يذهب إليه بعض غلاة المنازعين إلى تجدد يبنون منه على أنقاض اللغة العربية وقواعدها أدباً هجيناً غير صراح"[١٣].

غير أن بدوي الجبل سيطوي هذه الصفحة، ويحسم أمره، مفارقةً لما سيعايش من الجديد في الشعر، وانحيازاً للكلاسيكي، على الرغم من أنه من قال عام ١٩٥٠ في قصيدة (بدعة الذل):

أنا أبكي لكلِ قيـــــــدٍ فأبكي لقريضـــــي تغلُّـــــــهُ الأوزانُ

فبعد ثلاث سنوات، وفي مشاركته على استفتاء مجلة (الآداب) اللبنانية للشعراء في أمر الوزن والقافية، يقول بدوي الجبل: "إن الشعر العربي في قوالب الوزن والقافية يتسع لكل ما يتفق مع رسالته من حاجات الحياة المعاصرة، والعربية واسعة خصبة، فالفقر ليس فيها، والوزن والقافية نغم وجمال وعذوبة لا قيود وحدود.

أما الشعر ونقاد الشعر الذين يرون تحرير الشعر العربي من قوالب الوزن والقافية، ففي وسعهم أن يفعلوا ذلك، وسنقرأ حينئذ فناً رفيعاً وسيماً، قد يكون حكمة، وقد يكون فلسفة، وقد يكون كل شيء، ولكنه - وهذا غير مهم - لن يكون شعراً عربياً على كل حال.

أما اقتراحاتي في هذا الموضوع فتتلخص في اقتراح واحد، هو أن ينظم هؤلاء السادة شعرهم العربي المحرر من الوزن والقافية بلغة غير اللغة العربية، ونحن بهذا الاقتراح المتواضع المتسامح نريد أن ننفي عنا تهمة العصبية للقديم ومحاولة فرضه على الناس"[١٤].

لقد تملص الشاعر من البيت السابق (أنا أبكي..) حين سأله عنه منير العكش، فأجاب: "الشاعر غير مقيد بكل ما يقوله، فقد تمر به خاطرة عابرة، وقد تمر به خاطرة يمليها جو القصيدة، وعندما تكلمت عن القيود في قصيدتي، مرّ هذا المعنى مروراً، وأنا في الواقع، وبحكم دراستي الأدبية، لا أؤمن بأن الأوزان قيود، ولكنها نغم وعطر وجمال"[١٥]، وفي المحاورة نفسها مع العكش، يؤكد الشاعر أنه لم يدرس العروض، لكنه يعتقد أن "الوزن في الشعر العربي قطعة لا تتجزأ منه، وكل عبث بالأوزان هو عبث بالشعر وعبقريته وإلهامه"[١٥].

في الآن نفسه يبدو أمر الشعر والشاعر شاغلاً على الدوام لبدوي الجبل، يقلّبه في قصائده عقداً فعقداً، ومن مواطن ذلك في الديوانين الأول والثاني قصائد: دموع ودموع - حياة أسير القيد لفظ بلا معنى - أي أمر ساءها - لبنان والغوطتان - لا تحبيني - على أطلال الجزيرة العربية - نم بقلبي - كافور - حنين الغريب - غربة الروح - وفاء القبور - خمرة الأحزان.. وسنرى بدوي الجبل أجلى تعبيراً عن أمر الشعر والشاعر والشاعرية، فيما حاوره به منير العكش عام ١٩٧١، ومنه[١٥]:

١ ـ الشعر:

"أما الشعر فلا تعريف له، وكل تعريف للشعر جرأة على تفرده وتميزه، كل ما يُعرَّف به يمكن أن يُعانى، والشعر لا يُعانى إلا من الشاعر، والشعر عندي نوع من النبوة، إنه خيال، ونغم، وضوء وصور، ولكنه فوق ذلك شيء أشمل وأدق، ولا يمكن التعبير عن هذا الشيء مطلقاً، وعندما أشبهه بالنبوة، والنبوة إلهام وغيبية، أكاد أحسّ أنني عبرت - تعبيراً ناقصاً - عن هذا الشيء في الشعر".

٢ ـ الشاعر:

"إن المدرسة، والثقافة، والمجتمع، والتاريخ، قد تخلق عالماً، وقد تخلق فيلسوفاً، وقد تخلق فاتحاً، وقد تخلق مخترعاً، وقد تخلق أنواعاً متعددة من العظمة، ولكنها لن تستطيع أن تخلق شاعراً، فالله وحده هو الذي يخلق الشاعر".

٣ ـ الشاعرية:

"الشاعر لا يستطيع تفسير شاعريته، ولا تعريفها، ولا يعرف حدودها، ولا أضواءها ولا ظلالها، إنها في السريرة كالعتمة، تتحول إلى قليل من ضوء، ثم يزداد هذا الضوء حتى يتحول إشراقاً، ولكن لا بد من أن يبقى، في رأيي، ظل للعتمة في هذا النور المشرق".

٤ ـ لحظة الإبداع :

"وأعرف أن نفسي تمتلئ قليلاً قليلاً بصور أجهلها، ومعان أجهلها، وقد يطول هذا معي أسابيع، ثم يمر شطر بيت، قد يكون صدراً، وقد يكون عجزاً، فأثبته، ثم تتوالى عليّ الصور، والمعاني، والخيالات، والنغم، والمفردات، دون ترتيب. فأثبت كل ما يأتيني، وأكون في حال أقرب إلى الغيبوبة منها إلى الصحو.

في هذه الحال، لا أحسّ بجوع، ولا أنام ملئ جفوني، بل يسيطر عليّ الأرق، وتتجمع أمام عيني خيالات، لا تلبث أن تتحول إلى مفردات، ثم إلى أبيات".

قبل ذلك بعشر سنوات كان بدوي الجبل ـ إبان عودته من المنفى ـ قد أجاب على سؤال مجلة (ألوان) الدمشقية: ما الشعر برأيك؟ فقال: "الشعر والجمال والنبوة يصعب تحديدها.. لأنها أشياء علّوية لا يمكن أن تحدد، ولا يمكن للألفاظ أن تعطيها معانيها تماماً. والألفاظ أعجز من أن تحدد الجمال والشعر وأن تحدد النور، حتى وأنْ تحدد العطر والنغم، وكل هذه: العطر، والنغم، والجمال أجزاء من الشعر، ومع ذلك لا تحدد، فكيف بالشعر وهو يجمعها كلها؟[١٦]

لاستيفاء نظر بدوي الجبل فيما تقدم من الوزن والقافية والشعر والشاعر والشاعرية ولحظة الإبداع، نتابع تلمّس ما انتهى إليه في الشعر الحديث، ففي الحوار السابق مع مجلة (ألوان) يجيب على السؤال عن رأيه في حركة التجديد في الشعر العربي، فيقول: "رأيي في حركة التجديد واضح جداً، ويمكن أن نقسم الحركة إلى قسمين: التجديد لم يفارق الشعر العربي منذ نشوئه حتى الآن، فالشعر الإسلامي تجديد للشعر الجاهلي، والشعر الأموي تجديد لشعر صدر الإسلام، والعباسي تجديد للأموي، وشعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ومهيار الدمشقي تجديد لما سبق من عهود، وشعر الباروني وشوقي ومطران تجديد في الشعر العربي، فإذا كان المقصود بالتجديد هذا، فالتجديد لم يفارق الشعر العربي، وإذا كان غير هذا، نعود للقسم الثاني من حركة التجديد، وهو الشعر المتحرر من قيود الوزن والقافية، أنا لا أقسو على أصحاب هذا التجديد، فقد يكون فيه كل شيء: الحكمة، الأدب، الفلسفة، إلا الشعر، وأنا لا أعتقد أنه سيكتب له البقاء، لأنه لا يمكن أن يُحفظ أو يُروى أو يمثل جوهرة هذا الأمة في أية ناحية من نواحيها"[١٦].

وبعد سنة من ذلك يجيب على سؤال جريدة الصباح التونسية ـ كما نقلته مجلة الفكر التونسية ـ عن رأيه في الشعر الجديد، فيقول: "إذا كان معنى الجديد إضافة ثراء

جديد إلى الأدب العربي، فنحن نؤيده ونرحب به، أما إذا كان معنى الجديد الخروج على طابع الشعر العربي، والتحرر من الوزن والقافية، والعبث بقواعد اللغة، ونقل أدب غريب نقلاً مشوهاً ممسوخاً، فهذا ليس جديداً ولا تجديداً، وإنما هو موجة ضعف وتفكك وتهرب من عناء الإبداع والإتقان، ولن يكون لهذه الموجة أي أثر في مستقل الأدب العربي، الوزن والقافية هما طابع الشعر العربي، والديباجة التي تجلو المعاني والخيال في إطار من النظام، أساس لا بد منه في الشعر العربي، وأكثر ما يسمونه بالشعر الجديد عاطل من كل هذا، لا حجة لأصحاب هذه المحاولات، فالشعر العربي الموزون المقفى يتسع لكل ما يجول في النفس الإنسانية من دقيق العواطف وجليلها وواضحها وخفيها، واللغة العربية من أغنى اللغات في كل المعاني الإنسانية والفكرية، والوزن والقافية تركيز للجمال وتركيز للموسيقى، إن الشعر الجديد المتفلت من قيود اللغة والوزن والقافية، أي المتفلت من حدود الجمال والموسيقى وأصالة البيان، لا يمكن أن يبقى"(١٧).

لغرض الاستيفاء، وإنْ تكن الإضافة محدودة، نمضي قدماً قرابة عشر سنوات، فنقرأ لبدوي الجبل في حوار لجريدة الثورة الدمشقية معه: "أنا لا أومن بما يسمونه الشعر الحديث، الشعر إما أن يكون شعراً أو لا يكون، ولا جديد ولا قديم منه، وهذا الذي يسمونه الشعر الحديث قد يكون كل شيء، إلا أن يكون شعراً، شعراً عربياً، للغة العربية طابعها، وهذا الطابع مفقود فيما يسمونه الشعر الجديد، وأنا لا أعلم كيف يزعم من لم يقرأ التراث، ولم يعرف عنه إلا ما يعرفه الطلاب الصغار في مدارس متوسطة، حتى يستطيع الشاعر أن يكون مجدداً عليه أولاً أن يقرأ القديم شعراً ونثراً، وأن يلم بالشعراء القدامى إلماماً صحيحاً، وأن يقرأ على الأقل كتب الجاحظ والتوحيدي وكتاب الأغاني، وقبل كل هذا نهج البلاغة، وقبل نهج البلاغة أن يقرأ القرآن ويدرسه دراسة طويلة، هل يراد من هذا التجديد أن ينسى الناس القرآن؟ إن هذا عيب، فالقرآن سيبقى خالداً ما بقيت السموات والأرض، وهذا التجديد أو ما يسمونه تجديداً نزوة سينتهي أمرها عندما يعود إلى اللغة العناية بها في المدارس، وعندها يخرج الطالب من المدرسة وقد تذوق لغته وفهم أسرارها"(١٨).

من الجليّ أن معركة الشاعر الحاسمة قد باتت معركته مع الشعر الحديث الذي كان حضوره قد تعزز، بل طغى، في مطلع سبعينيات القرن الماضي، فيما كان الشعر الكلاسيكي يذوي ويتقصّف، أقله بفعل الزمن والموت الذي راح يفرد بدوي الجبل - والجواهري - في الوحدة، لذا وصل احتدام المعركة ببدوي الجبل إلى الاستعداء في

إشارته إلى القرآن، ولذا كان حكمه المبرم بأفول الشعر الحديث أو الجديد، وهو الحكم الذي خطّأه الزمن على عهد البدوي نفسه، ولذا ـ أخيراً ـ ترى حكمه يتلجلج ـ وإنْ قليلاً ـ عندما يتصل الأمر بأعلام الشعر الحديث. فعندما لا يسمّي يمضي إلى الجزم بأن هذا الشعر "صدى لأدب أجنبي.. إنكليزي أو ألماني أو فرنسي"[١٩] ويتخفف من الجزم في أن: "علماً بأن رأيي ليس كل شيء في القضية"[١٩]، أما عندما يسمّي فالأمر يختلف نسبياً: "هناك شعراء مثل أدونيس، بدر شاكر السياب وغيرهما، هؤلاء بثقافتهم العربية الواسعة وبأدبهم الواسع، أحبهم وأنتقدهم في الوقت نفسه، أما الذين لا يتقنون اللغة العربية، ولم يقرأوا الأدب القديم، فلا يستحقون مني القراءة ولا الاهتمام، الشاعر يولد شاعراً لكنه بحاجة إلى لغة وثقافة أيضاً، الشعر الحديث لا هوية له. إنه ضائع، لا شاعرية فيه، شعر أدونيس القديم يدل على شاعرية ضخمة، لكنه لو وضع خياله الحاضر، وتألقه، في الأوزان الصحيحة، لكان شعره أفضل من الآن بكثير، ليس بإمكان الشاعر أن يخلق أوزاناً جديدة، وإذا خلق هذه الأوزان الجديدة فقط يخرج على الطابع العربي والروح العربية: يكون شعره فلسفة، يكون خيالاً رائعاً، لكن لن يكون شعراً، ولذلك فالشعر الحديث لا جمال فيه"[٢٠]، وفي الآن نفسه، وفي حواره مع منير العكش يقول: "قرأت الشعر الحديث مرات عديدة، فلم تهنأ نفسي، ولا نَعِمَ به ذوقي الشعري. وأنا الآن لا أقرؤه، إلا إذا كان لمن أحبه، وأعتقد فيه الشاعرية، كأدونيس ونازك الملائكة.

أقرأ شعرهما الحديث بحسرة ولوعة، لأن كليهما شاعر رائع أضاع نفسه، ويسعدني أن نازك الملائكة رجعت إلى طابعها الأصيل، وسأكون مغموراً بالسعادة، أنا والشعر، عندما يعود أدونيس إلى طابعه الأصيل"[٢١].

* * *

لعل المفارقة هنا أن تقاطعاً غير قليل يقوم بين نظر بدوي الجبل للشعر، وبين نظر أدونيس بخاصة، وكثيرين من أعلام الشعر الحديث بعامة، حيث العتمة في الإشراق، كما عبر البدوي، أو الغموض كما يعبر سواه، وحيث النبي والشاعر، والنبوة والشعر، وحيث الوشاح الصوفي والغنوصي، ولكل ذلك حضوره المتواتر الفاعل في شعر بدوي الجبل، وهو القائل: "جذور التصوف قديمة عندي، ولي قصائد في التصوف، ولي قصائد في التصوف قبل العشرين من عمري، وربما كان لنشأتي في حضن أب مؤمن متصوف عالم، أثر في ذلك، فسريرتي ـ وشعري ينسكب من سريرتي ـ مغمورة بنور

التصوف، وعطر التصوف. والتصوف عندي إيمان بالله وفناء وحنان على كل محروم»[٢١].

فمنذ قصيدة (الروح الثائرة ـ ١٩٢٢) يتلامح الأثر الصوفي في مناجاة الروح وفي وحدة الوجود:

تلاشيتُ في هذه الكائناتِ ولم يتلاشَ إليكِ حنيني

وفي قصيدة (شعاع العيون ـ ١٩٢٤) يتجلى بقوة الحضور الأنثوي الصوفي في شعر بدوي الجبل، وهو الحضور الذي سيتواتر إلى النهاية، فالأنثى في هذه القصيدة هي سر الحياة وأنشودة الله، كما هي بعد عقود في قصيدة (خالقة) التي غنت منها فيروز واحدة من روائعها، هي حنين النور للنور، وكما يليق بالصوفي بامتياز، يحضر الحب والتشبيب. وقد يكون من يخاطبه الشاعر حبيبًا أو حبيبة، بضمير المذكر أو المؤنث (قصائد: الحب والله ـ اللهب القدسي ـ الكعبة السمراء...).

تتلامع في صوفية شعر بدوي الجبل مفردة النور، وتحيل على نشأته الدينية والمذهبية، كما تحيل علامات أخرى، منها التقمص أو التحول: قصيدة (أطلّ من حرم الرؤيا فعزّاني)، ومنها قوله: (فبالتحول بعد الله إيماني)، وقصيدة (وفاء القبور)، ومنها:

أقيمُ ما شئتُ في عدنٍ وأتركُها وأخلعُ الجسمَ أحيانًا وأتزرُ

ومنها الباب والحجاب في قصائد (ابتهالات ـ حيرة النفس ـ وانجلت نفسي في النور ـ ظمأ إلى السراب).

غير أن صوفية شعر البدوي ليست أسيرة نشأة أو مذهبية بعينها، وهي بعامة يتجاذبها الشك والإيمان (وليل الإشراك وصبح المتاب) والجنة والجحيم والخلود، مما يتواتر ويتعمق في المتأخّر من شعره، كما في قصائد: (ما شأن هذا الأشعث الجّواب ـ فلسفة الحقيقة ـ أطلّ من حرم الرؤيا فعزاني ـ هواجس ـ النبع المسحور ـ السراب المظلم ـ ظمأ إلى السراب ـ أين أين الرعيل من أهل بدر..؟).

وحسبنا أن نذكر هنا من قصيدة (حيرة النفس) قوله:

ويا نفسي عبدتُكِ عن يقينٍ وحسبي قد عبدتُ بكِ الإلها

وقوله في قصيدة (الذكرى) التي يرثي فيها الشيخ علي محمد كامل (أبو أحمد):

أبا أحمد هل يُرفَعُ الستر مرةً من الملأ الأعلى وتنكشفُ الحجبُ

وفزْنا من النورِ المصونِ بلمحةٍ تقرُّ بها عينٌ ويندى بها قلبُ

ولئن كانت صوفية هذا الشعر تلوّح لسواها في التراث الشعري الصوفي العربي بخاصة، وغير العربي أيضاً، فالأهم هو ما حققه من خصوصية هنا، مما لا يتبين إلا في تبيّن خصوصية التجربة الشعرية لبدوي الجبل بعامة، وهي الخصوصية التي جعلت هذا الشاعر صوتاً متفرداً في كلاسيكية الشعر العربي في القرن العشرين، أياً يكن استيعاؤها للكلاسيكية الشعرية العربية، والذي أجهد بعضهم في إحالته على علامة أو أخرى من العلامات الفارقة في التراث الشعري، ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بسرقة البدوي من هنا أو هناك، كما كان الأمر مع المتنبي وسواه، وإنما ذكرنا المتنبي بخاصة لأن كثيرين أيضاً أرادوا أمْثَلَةَ شعر بدوي الجبل، فوصفوا الشاعر بأنه متنبي القرن العشرين، وهو لا يفتأ يرفض، بحثاً عن الخصوصية.

* * *

لبدوي الجبل قاموسه اللغوي الخاص الذي تترجّح فيه مفردات بعينها، منها: لعس الشفاه، نعمى، لبانة، تأنّق، النهد، العطر، آرام، الدراري، المهار، الحيا، عذبات، الصيد، لغوب، سبيب، اللهادم، خود، أريب، دهياء، قليب، الصحاصح، الطوائح، الحسام، الجياد، الضرب، السيف، الطعن، عفت الديار، لغوب، أنضاء، يضغم، شمأل، خضيب، الصلاب، الصم، الضراب، القساور، رطاب، الملاب، اللوى، إرنان، الوجناء، الطلاح، العراب، أشر، الراح، القراع، شبا، ويارب، ونَعَمْ، غرد، أوام، زقّ، غواشم، زُبَاد، صعاد، كباد، النور، سدرة المنتهى، اللهب القدسي، الجلال...

بخصوصية لعب الشاعر بهاته المفردات، يخرج بها من إهابها الغريب أوالوحشي أو المعجمي أو الحائل، لتتقد بتشكيلاتها الجديدة، فإذا بالطبيعة والمرأة بخاصة في هيئة عتيقة جداً ومعاصرة جداً، يؤول اندغامها إلى سحر شفيف يندر أن يجفو أو ينبو.

تلك هي الطبيعة أولاً، وابتداء من المطلع الطللي الموروث (قصيدة على أطلال الجزيرة العربية - قصيدة أهوى الشآم) إلى شعرنة الطبيعة (قصيدة على أطلال الجزيرة العربية - قصيدة لبنان والغوطتان - قصيدة البلبل الغريب)، ونخصّ بالإشارة هنا شعرنة البحر والبحيرة (قصيدة الكعبة الزهراء - قصيدة ابتهالات - قصيدة البلبل الغريب).

أما المرأة، وسواء صحّ أم لم يصحّ ما يذكره هاشم عثمان من أن منيرة الكنج كانت الحب الأول للشاعر، ولها كتب قصيدتي (العذراء الخائنة) و(الدمية المحطمة)، أو أن عزيزة هارون (الشاعرة اللاذقانية المتوفاة) كانت الحب الأخير للشاعر، ولها كتب قصيدة (شقراء)، أو أنه تعلق أيضًا ميّ زيادة وماري يني صاحبة مجلة مينيرفا (الشهرية اللبنانية)[٢٢]. سواء صح ذلك أم لا، فالمرأة حاضرة دومًا في شعر بدوي الجبل، يسميها في بواكيره مرة: هند (قصيدة لا تذكري الماضي) ومرارًا ميّ (قصائد: ميّ في وطنها - أنا وهي - الكآبة الخرساء..) - وقد يكون من المهم هنا أن نشير إلى ما ذكره بدوي الجبل من أنه ضمّ إلى سيرته الذاتية خمسين رسالة من مي زيادة إليه، دون أن يتحدث عن رسائله هو، وليس علينا إلا أن ننتظر ظهور السيرة التي يؤكد صاحبها أنها ناجزة منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي[٢٣].

بعد البواكير، وفيما ضمّ الديوان الثاني من شعر الشاعر، يغيب اسم المرأة، أي اسم، وتحضر الإشارات الجسدية والروحية، فإذا المرأة مرة سمراء لبنان، ومرة شقراء، ومرة خالقة، ومرة نوراً، وبقدر ما تسري الصوفية في هذا الحضور الأنثوي، بقدر ما يتعين هذا الحضور في نهد بخاصة، وفي شفة وشعر، وفي شهوة وعلاقة. وإلى ذلك فقد قامت المرأة في شعر الشاعر أمًا مرة (قصيدة ثكل الأمومة) وابنة مرة (مرثية الشاعر لابنته جهينة)، على أن خصوصية التجربة الشعرية والروحية لبدوي الجبل، لا تبين فقط بما كان للطبيعة والمرأة، بل باندغام ذلك بالحزن والموت والطفولة. فمنذ الفتوة والصبا والبواكير، يفجؤنا الحزن الطاغي واليأس العميم المقيم (قصائد: يا نديمي - لا تحبيني - لا تذكري الماضي - نشوة اليأس) وهو ما يظل يسري في شعر الشاعر حتى النهاية (قصائد: البلبل الغريب - آلام - من وحي الهزيمة)، ومن الأخيرة نقرأ:

أنا حزنٌ شـــخصٌ يروحُ ويغدو ومســائي مع الأســى والبكورِ

وذلك الفتى الذي انزجّ بحماسة في صدارة المشهد الشعري وفي حمأة العمل السياسي قبل أن يبلغ العشرين، هو عين الفتى الذي يتراءى الموت في شعره حد الشهوة. ولن يفتأ الموت يزداد حضوراً في شعر البدوي حتى النهاية، وبخاصة كلما فُجع بواحد من رعيله الذي لم تكن تربطه بهم علاقة سياسية وحسب، بل الصداقة أولاً، وهو الرعيل الذي أخذ الزمن يودي به (إبراهيم هنانو - سعد الله الجابري - كامل مروة - رياض الصلح - فارس الخوري - شكري القوتلي ...) فضلاً عن الفجيعة بولديه

الشابين: عدنان وجهينة. كذلك شغلت القبور والموت والغربة والحنين غُرَرَ قصائد بدوي الجبل، مثل: غربة الروح - وفاء القبور - مَنْ كسعدٍ - آلام - أين الرعيل من أهل بدر - البلبل الغريب - ثكل الأمومة؟

ترى، هل لذلك صلة بحضور الطفولة القوي في قصائد البدوي الشيخ؟ لكن هذا الحضور، يأتي متلفعًا دومًا بالغربة والحنين، فهل لذلك أيضًا صلة بما تقدم من شأن الحزن والموت، أم إن ما يتعلق بالغربة والحنين موقوف على فرار الشاعر ونفيه مرة بعد مرة، وأطول وأقسى فأطول وأقسى؟ وأين كل ذلك مما للشأن العام - كيلا نقول السياسة - من حضور في شعر الشاعر؟ هل يمكن - في التجربة الحياتية والروحية والشعرية لبدوي الجبل - عزل ما صدح به ضد الاستبداد والاستعمار، وما صدح به من أجل فلسطين والوحدة والحرية، عما تقدم في الغربة أو الموت أو الحزن أو الحنين أو الطفولة أو العشق الصوفي وغير الصوفي؟

لقد نتأ بعض ذلك في قصيدة، وسواه في قصيدة، لكن النظر في تجربة بدوي الجبل لا يستقيم ولا يتعمق إلا باشتباك الأسئلة جميعًا، وليس آخرها عما قال الشاعر في الالتزام - وهو السياسي المعمّر أو عمّا تعلق من شعره بمقاومة الاستعمار والتجزئة العربية وعسف الحاكم ومأساة فلسطين... فلنقرأ:

١ - "أنا ضد كل تقييد، وأرى (تكبيل) الشاعر نيْلاً من قيمة الشعر.. وضد كل أدب توجيهي"[٢٤].

٢ - "أنا لا أتقيد بالقصيدة، بل أترك نفسي على هواها، والجو النفسي هو الذي يؤلف وحدة القصيدة عندي. أما أن أتعمد ديباجة واحدة، أو موضوعًا واحدًا، أو فكرة واحدة، أبني عليها قصيدتي، فهذا لا يخطر لي في بال، وأراه نوعًا من الالتزام، وأنا لا أقر الالتزام في الشعر بأية حالة من حالاته"[٢٥].

٣ - "إذا صحّ للبلبل أو للغدير أو للنسيم أو النور أن يلتزم، يصح للأديب أن يلتزم، فالأديب يجب أن يبقى حرًا طليقًا من كل التزام، وكل مكان فرض فيه الالتزام، نزل من مستوى الأدب. حتى في الأدب العربي القديم، عندما كان الشاعر يبدأ قصيدته غزْلاً، كان يحلق ويأتي بالمطرب المعجب، فإذا لجأ إلى المديح - وهو نوع من الالتزام - أسفّ وهوى"[٢٦].

٤ - "لا واجب للشعر، الشعر حر لا يقيد، أنا ضد الالتزام، الشعر نبع ينبع من نفس الإنسان"[٢٧].

٥ - "إنني لا أقر الالتزام في الشعر ولا في أي نوع من أنواع الفن، إن الالتزام سيطرة على وجدان الشاعر وعبقريته، ووجدان الشاعر وعبقريته فوق أن يخضعا لأي مؤثر على الإطلاق. الشعر كالنور فهل يصح أن يفرض الالتزام على النور؟ ووجدان الشاعر لا يحتاج إلى هذا، إنه سريع التأثر بكل أحداث وطنه، وقد شارك الشعر في معارك الحرية بالوطن العربي دون أن يلزمه ذلك إلا عاطفة نابعة من صميم وجدانه"[٢٨].

ولئن كان في هذه الأقوال ما يترجّع فيه صدى النزال مع قول بعينه من الالتزام - هو ما صخب منذ خمسينيات القرن الماضي، متعنوناً بالماركسية والقومية والدين .. - ففي شعر البدوي نفسه ما يصفو من هذا الرجع والترجيع، ليبقى تعبيراً عما يمور في الأمة، مثلما هو تعبير عما يمور في الفرد.

* * *

في مقام آخر ذكرت أنني شاهدت بدوي الجبل مرتين، أولاهما في بيت قريب من بيت جدي في قريتي (البودي) عام ١٩٥٤، كنت في التاسعة وكان البدوي مع مرشحيْن آخريْن في جولة انتخابية برلمانية في القرى الجبلية، أما المشاهدة الثانية، فكانت في موكب عودته من المنفى أيام الانفصال[٢٩]، ولقد نشأت على التوله بشعر بدوي الجبل وعلى إجلال الشاعر، منذ الصغر، عندما أقرأني إياه جدي وفرض عليّ حفظ بعضه، بيد أنني في شبابي الميمّم يساراً رحت أنظر إلى بدوي الجبل كخصم سياسي، ولذلك لم أسع إلى لقائه يوماً، وحين كتبت روايتي (هزائم مبكرة - ١٩٨٥) عدت فيها إلى ذلك الشطر من حياتي، ورسمت صورة منفّرة للزعيم الشاعر الذي ما عنيتُ به إلا بدوي الجبل.

واليوم أفكر في أن ما جعلني أدقق فيما سلف، هو أسئلة المدونة التاريخية التي اشتغلتُ عليها، وأنا أُعدّ لكتابة رواية (مدارات الشرق): أسئلة النصف الأول من القرن العشرين على إيقاع نصفه الثاني، وبخاصة على إيقاع ربعه الأخير، واليوم أفكر أيضاً في أن ذلك التدقيق على هذا الإيقاع المتواصل، هو ما جعلني أكتب في أمس قريب[٢٩]، عن هذا الشاعر المنكود بالطغيان والجحود، وكل ذلك ليس ببعيد عما تعللتُ به لهذه المنتخبات.

لقد مات السياسي، وبقي الشاعر والشعر، لتبقى القيم الرفيعة التي نحتاجها دوماً، والآن أضعافاً، ومنها قيمة الاختلاف مع الشاعر وفي الشعر، ومنها أيضاً الوفاء وتواصل الأجيال وتلاقحها، ومنها التجاوز والنبالة في الصراع.. وماذا أيضاً؟

نبيل سليمان

البودي ــ ٢٠٠١

الهوامش

(١) جريدة الأنوار ١٤/٣/ ١٩٧٢ ـ بيروت.

(٢) ومن شعرها إثر تجزئة سورية إلى دويلات وانطلاق الثورات المنادية بوحدة البلاد، إبان الاستعمار الفرنسي ١٩٢٠ ـ ١٩٤٥:

يا بلاداً أعدتْ عليها العوادي وألمّتْ بجوها الأرزاءُ
لا أقولُ الدخيلُ قد مزقَ الشـا مَ بنوها والغاصبون سواءُ

ومن وجدانياتها:

سقى البانةَ الخضراءَ مستعذبُ الحيا ورانَ مغاني الرقمتين ربيعُ
لعلَّ ليالينا تجودُ برجعةٍ فتلتامُ أكبادٌ بهنَّ صدوعُ

أما أحمد سليمان الأحمد فقد كتب الشعر الحديث مثلما كتب الشعر العمودي، ومن أعماله: (أغان صيفية) و (الكلمة للشمس والشهيد)، والمسرحيتان الشعريتان (المأمونية) و (مم وزين)، ومن الدراسات التي خلّفها: (الشعر العربي والقضية الفلسطينية من النكبة إلى النكسة).

(٣) مجلة مواقف، العدد ١٧ ـ ١٨ لعام ١٩٧١، بيروت.

(٤) العدد الأول، تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٦٣ ـ تونس.

(٥) يؤكد الشاعر تأثره بما نشرت (ألف باء) تحت عنوان (صلاة) لمحافظ مدينة كورك الإيرلندية: (ماك سويني) الذي أضرب عن الطعام حتى الموت إثر سجن الإنكليز له. وقصيدة البدوي ظهرت تحت عنوان (صلاة الصائم المائت) في (ألف باء) بتاريخ ٤/ ١١/ ١٩٢٠، بحسب هاشم عثمان الذي يذكر أن الشاعر نشر قبل ذلك في الجريدة نفسها، ثلاث قصائد مذيلة باللقب نفسه، ومنها، وبحسب عثمان دوماً، قصيدة (سعد والكنانة: ٦/ ١٠/ ١٩٢٠) وقصيدة حاكم كورك (ماك سويني: ١٥/ ١٠/ ١٩٢٠)، ثم يعود عثمان ويذكر أن الأخيرة نشرت في ٦/ ١٠/ ١٩٢٠، كما يذكر أن قصيدة (صلاة الصائم المائت) قد ظهرت في ديوان الشاعر بعنوان (فترقبوا الغارات من أيتامها) مع أن القصيدة التي تحمل هذا العنوان مذيلة بتاريخ ١٩٢٤، كما أن قصيدة (ماك سويني) في الديوان مذيلة بتاريخ ١٩٢١، ومروسة بما يؤكد أنها المعنيّة بقصيدة (صلاة الصائم المائت). انظر هاشم عثمان: بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة، منشورات رياض الريس، بيروت ١٩٩٨، ص ١٣٥ ـ ١٥٩ ـ ١٦٠، وانظر ديوان بدوي الجبل، دار العودة، الطبعة الأولى ١٩٧٨، بيروت ص ٤٤٩ ـ ٥٢٦.

(٦) ص ٢٤٩، مذكور.

(٧) نفسه، ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

(٨) الدار العالمية، بيروت ١٩٩٥، ص ٣٢١ – ٣٢٤.

(٩) نقلاً عن هاشم عثمان في: بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة، مذكور، ويبدو أن المؤلف سها عن أن عزل البدوي ووزارة الجندي كانتا بعد عام ١٩٦٣، بينما أحال هامشه رقم ١٣ ص ٧٦ على عدد تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٦٢ من مجلة الأديب.

(١٠) مجلة الفكر، مذكور.
(١١) انظر حواره مع جريدة الثورة ١٣/١١/ ١٩٧١، دمشق.
(١٢) كتاب هاشم عثمان: بدوي الجبل آثار وقصائد مجهولة، مذكور، وفيه أيضًا مقابلات بدوي الجبل الصحافية، وبعض نثره في الخطابة والرسالة والمقالة...
(١٣) مجلة مينيرفا، العدد ١، السنة ٢، ١٥/ ٤ / ١٩٢٤
(١٤) مجلة الآداب، العدد ٨، آب - أغسطس ١٩٥٣
(١٥) مجلة مواقف ، مذكور.
(١٦) مجلة ألوان ٣/١٠/ ١٩٦٢، دمشق.
(١٧) مجلة الفكر، مذكور.
(١٨) جريدة الثورة، مذكور.
(١٩) من حوار عيسى فتوح معه في مجلة المضحك المبكي، حزيران - يونيو ١٩٦٥، دمشق.
(٢٠) من حوار رياض فاخوري معه في مجلة الصياد ٥/ ٨/١٩٧١، بيروت.
(٢١) مجلة مواقف، مذكور.
(٢٢) هاشم عثمان: بدوي الجبل: آثار وقصائد مجهولة، ص ٧٩/ ٨٠، مذكور.
(٢٣) جريدة الثورة، مذكور.
(٢٤) مجلة المضحك المبكي، مذكور.
(٢٥) مجلة مواقف، مذكور.
(٢٦) مجلة ألوان، مذكور.
(٢٧) مجلة الصياد، مذكور.
(٢٨) مجلة الفكر، مذكور.
(٢٩) نبيل سليمان: الكتابة والاستجابة، اتحاد كتاب العرب ٢٠٠٠، الفصل الثامن.

المنتخبات

الكعبة الزهراء

مهداة إلى أعتاب أبي الزهراء صلوات الله عليه

بنورِ علـــى أمِ القُـرى وبطـــيبِ
غســـلتُ فـؤادي من أسىً ولهـيبِ
لثمتُ الثرى سبعًا وكحّلتُ مقلتي
بحُسْنٍ كأســرارِ السماءِ مهيبِ
وفي الكعبـةِ الزهراءِ زيّنْتُ لوعـتي
وعطّرَ أبوابَ الســماءِ نحيبي
ولي غفوةٌ في كلِ ظـــلٍ لقيتـه
ووقفـةُ ســقيا عنـدَ كلِ قليبِ
وتعطفـني الآرامُ فيـها نوافــراً
إلى رشـــأٍ في الغـوطتين ربيبِ
أشمُّ الرمالَ السمرَ: في كل حفنة
من الرمـلِ، دنيـا من هوى وطيـوبِ
توحدتُ بالصحراءِ حتى مغيبُها
ومشــهدُها من مشـهدي ومغيبي

ومن هذه الصحراءِ أنوارُ مُرسلٍ
ورايـاتُ منصـورٍ وبِدْعُ خطيبِ
ومن هذه الصحراءِ شِعْرٌ تبرجتْ
به كل سكرى بالدلالِ عَروبِ
تُعطِّرُ في أنغامه ورحيقه
وريّاه: عطرِيٌّ مبسمٍ وسبيبِ
ترشُّ النجومُ النورَ فيها مُمَسّكًا
فَأُترِعُ أحلامي وأُهرِقُ كوبي
وما أكرمَ الصحراءَ تصدى. وتمنحتْ
لنا بُرْدَ ظلٍ كالنعيمِ رطيبِ
ويغفو بها التاريخُ، حتى ترجّهُ
بداهيةٍ صُلبِ القناةِ أريبِ
شكا الدهرَ مما أتعبتْه رمالُها
ولم تشكُ فيه من ونىً ولُغُوبِ
وصبرٍ من الصحراءِ أحكمْتُ نسجَهُ
سموتُ به عن محنتي وكروبي
ومن هذه الصحراءِ صيغَتْ سجيتي
فكلُ عجيبِ الدهرِ غيرُ عجيبِ
يرنِّحُ شعري باللوى كلَ بانةٍ
ويندى بشعري فيه كلُ نسيبِ

ولولا الجراحُ الداميـــاتُ بمهجتي
لأسكرَ نجدًا والحجازَ نسيبي
أفي كلِ يومٍ لوعةٌ بعد لوعة
لغربة أهلٍ أو لفقدِ حبيبِ
ويا ربِ: في قلبي ندوبٌ جديدةٌ
تزيدُ القرى من سالفاتِ ندوبِ
يريدُ حسابي ظالمٌ بعد ظالمٍ
وما غيرُ جبارِ السماءِ حسيبي
ويا ربِ: صنْ بالحبِ قومي مؤلفًا
شتاتَ قلوبِ لا شتاتَ دروبِ
وكلٌّ بعيدٍ حجَّ للبيت أو هفا
إليه ـ وإن شطَّ المزارُ ـ قريبي
وآمنتُ أن الحبَ خيرٌ ونعمةٌ
ولا خيرَ عندي في وغىً وحروبِ
وكلٌّ خضيبِ الكف فتحًا وصولةً
فداءٌ لكف بالعبيرِ خضيبِ
وآمنتُ أن الحبَ والنور واحدٌ
ويكفرُ باللألاء كلُ قريبِ
وأيُّ ذنوبٍ ليس تُمحى لشاعر
معنّى بألوانِ الجمالِ طَروبِ
صفاءٌ على اسمِ الله غيرٍ مكرّر
وحبٌّ لذاتِ الله غيرُ مشوبِ

* * *

تدفـقـتِ الأمـــواجُ والـليلُ كـــافـرٌ
وهبَّ جنونُ الريـح كـــلَ هـبــوبِ
رمى الـيمُّ أنـضــاءَ الـســفينِ بمارد
من اليَــــمّ تيّاهِ الحـتـوفِ غَـضوبِ
يزلزلُهــــا يمنى ويســــرى مـزمـجـراً
ويَضَـغَـمُـهــــا من هولِــهِ بنيوبِ
يرقّـصُــــها حـينــًا وحـينًا يرجّـهـا
ويوجـزُ حــالَــيْ هــدأةٍ ووثـــوبِ
وترفـعُهـــا عـجلى وعـجلى تحـطُّهــا
لعــوبٌ من الأمــواجِ جــدُّ لعـــوبِ
وأيقنَ أنـضــاءُ الـســفـينـة بالردى
يطــالعُـهمْ في جـيـئــــةٍ وذَهَوبِ
ولما اسـتطـالَ اليـأسُ يكسـو وجــوهَهمْ
بألوانه من صـــفـرةٍ وشـــحـوبِ
دعــوا يـا أبا الزهراءِ والحـــتفُ زاحفٌ
عليـهـــم: لقـد وُفّـقـتـــمُ بمجيبِ
وأســلـســتِ الريحُ الـقـيــادَ كـأنـهــا
نســيمٌ هـفــا من شــمــألٍ وجنوبِ

* * *

جلوتُ علـى وادي العـقـيقِ فـريـدتي
فَـفـازَ حـسـيبٌ منهـمـا بحـســـــيبِ
تتـيـهُ حـضـاراتُ الشـعـوبِ بشـــاعـرٍ
وتكـملُ أسـبـــابُ العـلى بـأديبِ

ابتهـــالات

مهداة إلى قبورٍ حبيبة في بغداد ودمشق وحلب وحمص واللاذقية

جنيف في ٢٢ شباط – فبراير ١٩٦٤

بينـــي وبيـــن اللهِ من ثـقــتـــي
بلطـــــــفِ اللّـــهِ بـــابُ
يا ربِ: بابُــــــك لا يـــردُّ
اللائذينَ بـــــهِ حـجـــابُ
مـفـتـــاحُهُ بيـدي يقيـــنٌ
لا يُلِـــمُّ بهِ ارتيــــابُ
وإذا ســـألـتَ عن الذنـــوب
فـــإنّ أدمـعـــيَ الجــــوابُ
أنتَ المرجّـــى لا تُنــــاخُ
بغيـرِ ســـاحـتِك الركـــابُ
أنـــا من بـحـــارك قطـرةٌ
ممـــا تحـمَّلَـهُ الـربَـــابُ
أنـــا لا أطيــــلُ إذا ابتـهـلتُ
وقـد تحـدتنـــي الصــعـابُ

لاأشـــــتكي وبمهـجتـــــــــي
ظُفُـــــرٌ يمزّقُـهــــــا ونـــــابُ
مَـسَـــــح الحـيــــــاءُ على الدمـوعِ
وأكـرمَ الشـــــتكوى اقـتـضـــــابُ
تكفـي ببـــــــابكَ وَقْـفَـــــــةٌ
وأســـــىً تجـمّلَ واكـتـئـــــابُ

تحنو الدموع على القبور*

لا الغوطتان ولا الشبابُ أدعو هوايَ فلا أُجَابُ
أين الشآمُ من البحيرةِ والمآذنُ والقبابُ
وقبورُ إخواني وما أبقى من السيفِ الضرابُ
الصامتاتُ وللطيورِ على مشارفِها اصطخابُ
الغافياتُ فلم تُرَعْ منها الزماجرُ والوثابُ
أشتاقُ أحضنُها وألثمُها وللدمعِ انكسابُ
تحنو الدموعُ على القبورِ فتورقُ الصمُّ الصلابُ
ولها إلينا لهفةٌ ولطولِ غربتِنا انتحابُ
الكِبْرُ عندي للعظيمِ
إذا تكبَّرَ لا العتابُ
عندي لهُ زهدٌ يُدلُّ على الكواكبِ واجتنابُ
أنا كالمسافرِ لاحَ لي
أيكٌ وأغرتني قبابُ
وتفتحتْ حولي الرياضُ الخضرُ واصطفقَ العُبابُ
ووثقتُ أنَّ النهرَ ملكُ
يدي ففاجأني السرابُ

---

* من قصيدة ابتهالات .

بحيرة جنيف*

أشـــتـــاقُ شـــمـــسَـــك والـضـــحى
أنـــا والبـــحـيـــرةُ والضـــبـــابُ
ومضـــــفّراتٌ بالثـــــلوجِ كـأنّمـــــا نَصَـــــلَ الخضـــابُ
تعوي الريـــاحُ فِمـا القـســـــاورُ في الفــــلاة ومـا الذئـــابُ
والـثلـــــــجُ جَـــــــنَّ فـلم تـبنْ
ســـــبلٌ ولـم تُعـرَفْ شـــعـــابُ
أخفى المعـــــالِمَ لا الســــفـوحُ هي الســــفوحُ ولا الهضـــابُ
يا شـــمـــسُ غبت فكيف تم ـ ولا طلـــوعَ لك ـ الغيـــابُ
إنْ كنـت مـــســـلمـــةَ الهـــوى
فـتـــألقي؛ رُفِعَ الحـجـــابُ
ملَّ الســــحـابُ من الســــماء وقـــرَّ في الأرضِ الســـــحابُ
وكـــأنَّ مِـــلءَ الأرضِ مـــلءَ الأفـــقِ آلهـــةٌ غضـــابُ
حـــســـنٌ يهـــابُ ومـــا ســـمـــا
حُـــســـــنٌ يُحَبُّ ولا يُهـــابُ

* * *

دوحَ البحـــــيرة أيـــنَ ســـــامرُكَ المعطّرُ والشـــرابُ
والراقصـــونَ ونَوّا فحـــينَ دعـــاهم النغمُ اســـتجابوا
والقاطـــنونَ شـــــفاهُهُمْ كوورِدهـــم حمـــرٌ رطـــابُ

---

* من قصيدة ابتهالات .

ثغـــرٌ على ثغـــر، تســـــرّب فيــــــه فاختلط الرُضَــــابُ
قُبَـــلٌ أغاريـــدُ الشـــــفاه فَتُســــتعادُ وتُســـتطابُ
نَعِمَ الملائكُ بالشـــــبابِ فمـــــا لنعمتِــــه اســــتلابُ

تراب الشام*

يا شـــــامُ: يا لِــــدةَ الخلــودِ وضمَّ مجدَكمــــا انتســــابُ
من لي بنـــزر مــن ثـــــراكِ وقــــــد ألحَّ بي اغتــــرابُ
فأشـــــمّهُ وكأنه لَعَــــــسُ النــواهــــد والمــــلابُ
وأضـــــمّهُ فتـــرى الجـواهرَ كيف يُكــتنزُ الــــترابُ
هـــذا الأديـــمُ شـــمائـــلٌ غـــرٌّ وأحـــلامٌ عِـــذابُ
وأمومـــــةٌ وطفولــــةٌ ورؤًى كـمـــا عبـــرَ الشـــهابُ
وتحيـــــةٌ مســـكيّةٌ مـن ســــالفينَ هَــوَوْا وغـابـــوا
ومـن الأبــــوّة والجـــدودِ لأهــــلِ ودهمُ خـطـــابُ
هـــــذا الأديــــمُ أبي وأمي والبـدايـــــةُ والمــــآبُ
ووســـائدي وقلائـــدي ودُمى الطفـولـــــة والســـخابُ
وَدَدٌ يُبـــاعُ لــــه الـوقـــارُ ولا ندامــــةَ والصـــوابُ
أغلى عليَّ من النجـــــــومِ ولا أُلامُ ولا أُعَـــــــابُ
الـــروح من غـيبِ الســـماءِ ومنكِ قـد نُســـجَ الإهـــابُ

---

* من قصيدة ابتهالات .

متى الإياب ؟*

يا شــــامُ عطــــرُ ســريرتـي
حبٌّ لجـــمـــرتـــه التـــهـــــابُ
أنتِ اللبــــانةُ في الجـوانـــــح لا النَــوارُ ولا الربـــابُ
يعيـــا بحقــــكِ مـن يســــوِّقُهُ ولا يعيــــا الطِــــلابُ
غـــالبتُ أَشـــــواقي إليـــك
ويُضـــرِمُ الـشـــوقَ الـغـــلابُ
أنــا طـــيرُكِ الشـــادي وللأنغـــامِ من كبدي انســــرابُ
أنــــا والـربيـع مُــشـــــــردانِ
وللـشـــــذا مــعـنا ذهـــــابُ
لا الأيكُ بَـعـدَ غـيــابنــــــا
غَــــرِدُ الـطيـــوبُ ولا الـربـــابُ
والنـورُ يســــألُ والخـــمــــائـلُ
والجــمـــالُ: مـــتـى الإيـــابُ؟

---

* من قصيدة ابتهالات .

إني لأشْمَتُ بالجبار

يا سَامِرَ الحَيِّ هَلْ تَعْنيكَ شَكْوَانَا
رَقَّ الحَديدُ ومَا رَقُّوا لبَلْوانا
خَلِّ العِتَابَ دُموعًا لاَ غَنَاءَ بِهَا
وعَاتِبِ القَوْمَ أشْلاَءً ونيرانَا
آمَنْتُ بالحِقْدِ يذْكِي مِنْ عَزَائمنا
وأَبْعَدَ اللَّهُ إشْفَاقًا وتَحْنانَا
وَيْلَ الشُّعوبِ التي لَمْ تَسْقِ منْ دَمِهَا
ثَاراتهَا الحُمْرَ أَحْقَادًا وأَضْغَانَا
تُغْضِي عَلَى الذُّلِّ غُفْرانًا لظَالمِهَا
تَأَنَّقَ الذُّلُّ حَتَّى صَارَ غُفْرانا
أَمَّا الشَآمُ فَلَمْ تُبْقِ الخُطُوبُ بِهَا
رَوْحًا أَحَبَّ مِنَ النُّعْمَى وَرَيْحَانَا
أَلَمَّ واللَّيْلُ قَدْ أَرْخَى ذَوَائِبَهُ
طَيْفٌ مِنَ الشَّامِ حَيَّانَا فَأَحْيَانَا
حَنا عَلَيْنَا ظِمَاءً فِي مَنَاهِلنَا
فَأَتْرَعَ الكَأْسَ بالذِّكْرَى وعَاطَانَا

تُنَضِّــــرُ الوَرْدَ والرَيْحَــــانَ أَدْمُــعُنَا
وَتَسْكُــبُ العطرَ والصَــهْبــاءَ نَجْــوانَا
السَّـــــامِرُ الحُلْوُ قَــدْ مَــرَّ الزَمَــانُ به
فَــمَــزَّقَ الشَّـــمْــلَ سُــمَّــاراً ونَــدْمَــانَا
قَــدْ هَانَ مَنْ عَــهْدِهَــا مَــا كُنْتُ أَحْــسَبــهُ
هَوى الأَحِــبَّــةِ فى بَغْــدادَ لا هَانَــــا
فَــمَنْ رَأَى بِنْــتَ مَــرْوانَ انحَنَتْ تَعَــبًــا
مِنَ الــسَّــلاسِلِ يَــرْحَمْ بِنْــتَ مَـــرْوَانَا
أَحْنُو عَلى جُــرْحِــهَــا الدَّامِي وَأَمْــسَــحُــهُ
عِطْــراً تَطِــيبُ بِــهِ الدُّنْــيــــا وإِيمَــانَــا

* * *

قُلْ للأُلى اسْتَــعْــبَدُوا الدُّنْيَــا لِسَــيْــفِــهِمُ
مَنْ قَــسَّــمَ الــنَّاسَ أَحْــراراً وَعُــبْــدانَا
إِنِّي لأَشْــمَــتُ بالجَــبَّــارِ يَصْـــــرَعُــهُ
طَـــاغٍ ويُرْهِقُــهُ ظُلْمًــا وَطُغْــيَــانَـــــا
لَعَلَّــــهُ تَبْــعَثُ الأَحْــزانُ رَحْــمَــتَــــهُ
فَــيُــصْــبِحُ الوَحْشُ فِــي بُرْدَيْهِ إِنْسَــــانَا
والحُــزْنُ فِي الــنَفْسِ نَبْــعٌ لاَ يَمُـــرُّ بِــهِ
صَـــادٍ مِنَ الــنَّفْسِ إلاَّ عَـــادَ رَيَّانَــــــا
والخَــيْـــرُ فِي الكَوْنِ لَوْ عَــرَّيْــتَ جَــوْهَرَهُ
رَأَيْتَــهُ أَدْمُــعًـــا حَـــرَّى وأَحْــزَانَـــــا

سَمِعْتُ بَارِيسَ تَشْكُو زَهْوَ فَاتِحِهَا
هَلاَّ تَذَكَّرْتِ يا بارِيسُ شَكْوانَا[1]
والخَيْلُ في المَسْجِدِ المَحْزُونِ جائلةٌ
عَلَى المُصَلِّينَ أَشْيَاخًا وفِتْيانَا
والآمِنِينَ أَفَاقُوا والقُصُورُ لَظًى
تَهْوِي بِهَا النَّارُ بُنْيَانًا فَبُنْيَانَا
رَمَى بِهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي[2] مُجَلْجِلَةً
كَالعارِضِ الجَوْنِ تَهْدَارًا وتَهْتَانَا
عِشْرِينَ عامًا شَرِبْنا الكَأْسَ مُتْرَعَةً
مِنَ الأذَى فَتَمَلِّيْ صِرْفَهَا الآنا
ما للطواغِيتِ في باريسَ قَدْ مُسِخُوا
علي الأرائكِ خُدَّامًا وأَعْوانَا
اللهُ أكبرُ هذا الكونُ أَجْمَعُهُ
للَّهِ لا لَكَ تَدْبِيرًا وسُلْطانا
ضَغِينةٌ تَتَنَزَّى في جَوانِحِنَا
مَا كَانَ أغناكُمُ عنها وأغنانا

* * *

يا صاحِبَ النَّصرِ في الهَيْجاءِ كيف غدا
نَصْرُ المعاركِ عندَ السِّلْمِ خِذْلانا[3]

١– سقوط باريس فى يد الألمان فى الحرب (العالمية الثانية).
٢ – الجنرال ساراى يوم ضرب دمشق بالمدافع .
٣ – يشير الشاعر بهذه الأبيات الثلاثة لنكث الإنكليز عهودهم للملك الهاشمى بالحرية والوحدة بعد نهاية الحرب.

تَرى السِّـــيـاسَـةَ لونًا واحــدًا ويَــرى
لهــا حليــفُكَ أشكالاً وألْوانَـــــــــا

لا تَسْأَلِ القَــومَ أيْمـانًـــا مُــزَوَّقَــةً
فَـقَــدْ عَـيــينا بِهِــمْ عَــهــدًا وأيْمـــانـا

أكْـرَمْتُ مَـجْـدَكَ عن عَـتْب هَمَـمْتُ به
لو شِئْتُ أوْسَعْـتُـهُ جَـهْـرًا وتبـيـانَـا[٤]

* * *

مـا للسَّـــفـينَةِ لم تَرْفَعْ مَـراســــيَـهـا
أَلَـمْ تُهَـــيِّـئْ لهــا الأقــدارُ رُبّانَـــــــا

شُـقّي العَـــواصِفَ والظَّلْمـاءَ جـاريــةً
باسْـــــمِ الجَزيرةِ مَـجْـرانا ومُـــرْسـانَا

ضُـمّي الأعـاريبَ مِنْ بَدْوٍ ومِنْ حَـضَـرٍ
إنّي لألْمَـحُ خَلْفَ الغَــيْمِ طُوفــانَـــــا

يـا مَنْ يُدِلُّ عـلينــا في كَـتـائِبِــــــهِ
نَظّــارِ تَطْلَـعْ على الدنـيـــا ســـــرايـانا

* * *

(١٩٤١)

٤ – يتنـبأ الـشاعر هنا بالوحدة وبقيـام جيـش عربي، ولقد قامت هذه الجيوش ولكنهـا لم تستـطع أن تحرر فلسطين .

يعطى الشهيدُ فلا واللهِ ما شهدتْ*

أزكى من الطيبِ ريحانًا وغاليةً
ما سالَ من دمٍ قتلانا وجرحانا
هل في الشآمِ وهل في القدسِ والدةٌ
لا تشتكي الثُّكْلَ إعوالا وإرنانا
تلك القبورُ فلو أني أَلمُّ بها
لم تَعْدُ عيناي أحبابًا وإخوانا
يُعطي الشهيدُ فلا واللهِ ما شهدتْ
عيني كإحسانهِ في القومِ إحسانا
وغايةُ الجودِ أنْ يسقي الثرى دمَه
عندَ الكفاحِ ويلقى اللهَ ظمآنا

* من قصيدة : (إني لأشمت بالجبار).

اللاذقية*

يا راكبَ الوجناء[1] أخـمَلَ عـهـدُهـا
إبلاً ظـمـاءً فـي الفـلاة طـلاحـا
مـرتْ كـلامـعـةِ البـروق فـهـجّـنـت
غُـرَرَ الـعـرابِ الشـقـرَ والأوضـاحـا
لا تَعْـدُ عنـد اللاذقـيـة شـاطـئًا
غَـزِلا كـضـاحكة الصـبـا مـراحـا
نديانَ مـن أَشَـرِ الصّـبـا وجَنـونـه
طلقَ الفـتـوّنِ مـجـانـةً ومـزاحـا
باللهِ إنْ كَـحَلَتْ جـفـونَكَ مـوجـه
ضُمِ الـشـراعَ وقـبّـلِ المـلاّحـا
واسـرقْ مـن الكنزِ المقـدس مـغـربًا
حَلوَ الأصـيلِ ومـشـرقًـا لمـاحـا
وأنزِلْ على خـيـر الأبوة رحـمـة[2]
تسـعُ الحـيـاةَ وعـفـةً وصـلاحـا
والثمْ أحـبـتيَ الصـغـار[3] ورفّـهـا
غُـرراً نواعمَ كـالـورود صـبـاحـا

---

* من قصيدة (دمعة على الشام) التى كتبها الشاعر وهو لاجئ فى بغداد عام ١٩٤١، وتبدأ بتحية رشيد عالى الكيلانى :
حيِّ الرئيسَ إذا نزلتَ بساحِه   رُحَبًا تَهَلَلُ للوفودِ فساحا
١ – يراد بها: السيارة.
٢ – يشير إلى والده وقد فارقه مريضاً.
٣ – يشير إلى أطفاله.

عيد الجلاء ١٩٤٦

أَلـزغَـاريـدُ فَـقَـدْ جُـنَّ الإِبـاءْ
من صِفاتِ الله هَـذي الكبْريَـاءْ
جَمْرَةُ الحقِّ فَسُبْحَانَ الذي
صَاغَ هذَا الجَمْرَ من ظِلٍّ وماءْ
الأديمُ السَّمْحُ عِطْرٌ ورؤى
رُبما أَغْفَى عَلَيْهِ الأنبِيَاءْ
وعلى كُلِّ مكانٍ جِدَّةٌ
تأسرُ العَيْنَ ونُعْمَى وَرُواءْ
خَالَفَ المشْهدُ فيها جارَهَ
فلدات الحُسْنِ شَتَّى غُربَاءْ
كُلُّ حُسْنٍ بِدْعَةٌ مُفْرَدَةٌ
لَيْسَ بَيْنَ الحُسْنِ والحُسْنِ إخَاءْ
أيُّها الدنيَّا ارْشُفي من كأسنَا
إنَّ عِطْرَ الشَامِ مِنْ عِطْرِ السَّماءْ
شُهَدَاءُ الحَقِّ في جَنَّتِهِمْ
هَزَّهُمْ لِلشَامِ وَجْدٌ وَوَفاءْ
تَضْحَكُ (الرَّبْوَةُ) في أَحلامِهِمْ
هَلْ عَنِ الربْوَةِ في عَدْنٍ غَنَاءْ

كُلَّمـا هَبَّتْ صَـبًـا مِنْ (دُمَّـر)
رِيحُ الجَنَّـةَ طِيبٌ وَغِنَـاءْ

واعْـذِروا عَـدْنًـا عَلَى غَـيرتِهـا
إنَّها والشَّـامَ في الحُسْـنِ سَواءْ

يا فَلَسْـطِينُ هَوى مُسْتَـعِرٌ
مِنْ رُبَـى الشَّـامِ ونَـصْـرٌ وَوَلاءْ

وَتَحِـيَّـاتُ الـرِّضَى مِنْ دِجْـلَةٍ
وسَـلامُ اللَّه مِـنْ غَـارِ حِـراءْ

اليَـهُـودُ اسْـتَأسَـدُوا فـيكَ فَمَنْ
جَـرَّأَ الضَّـعْفَ وأشْـلَى الضُّـعَفـاءْ[1]

هَانَ عَنْ شَـكْوايَ عُـبْدَانُ الـعَـصَـا
أنَا أشْـكُو مِنْ عُـهـودِ الخُلَفَـاءْ

يا رُبَـى القُـدْسِ ومَـا أنْدَى الـرُّبَى
دمُنـا فـيـهـا رَبيعٌ ونَمَـاءْ

انْتَـزَعْنَـا المُلْكَ مِنْ غَـاصِبِـهِ
وكَـتَـبْنَـا بالدَّمِ الغَـمْـرِ الجَـلاءْ

الرُّبَى فِي مَيْـسَـلُونَ اسْـتَعْبَرَتْ
أيْنَ دَمْعُ الحُـزْنِ مِنْ دَمْعِ الهَـنَـاءْ

أقْـبَلَ الدَّهْـرُ عَلَيْـهَـا تَـائِبًـا
وعَـفَـا يُوسُـفُ[2] عَنْ جَـوْرِ القَـضَاءْ

حَقُّ يَوْمِ الـشَّـامِ أنْ تَكْـتُـبَـهُ
قُـدْرَةُ الـلهِ على وَجْـهِ ذُكَـاءْ

١ – هذه الأبيات قبل قيام دولة إسرائيل فماذا نقول الآن ؟
٢ – الشهيد يوسف العظمة .

بدعةُ الذلِّ

إلى روح إبراهيم هنانو

بدعـــةُ الذلِّ حين لا يَـذكــرُ الإنـــ
ـــســانُ فـي الشـــامِ أنهُ إنســـانُ
بدعـــةُ الذلِّ أن يُـصـــاغَ مـن الـــ
فـرد إلـــــهٌ مـهـيـمنٌ ديّـــانُ
يا لهــا دولةٌ تعـــاقَبُ فـيـهَــــا
كــالجنـــاة العـقــولُ والأذهـــانُ
أين حــريتي فلـم يبقَ حـــــراً
من جـهـيـــــرِ الـنداء إلا الأذانُ
ســبـةُ الدهرِ أن يحـاسَـــبَ فكرٌ
في هـوان وأن يُفَـــكَّ لـســـانُ
يعــثـرُ الدهرُ والـشــعــوب وتشـقّى
بالمنـــاكـيـرِ أمــةٌ وزمـــانُ
كـتبَ المجـدُ مـا اشـتـهتْ غـررُ المجـد
ونحـنُ الكتَـــــابُ والعـنوانُ
نحن تـــــاريخُ هذه الأمــة الفــخم
ونَحِـنُ المكـــانُ والـســـكانُ
من غــوالي دمـوعنــا الخمــرُ والعطرُ
ونُعــمى دمـائنـــــا الأرجــوانُ
١٩٥٠/١١/٢٤

أنا أبكي لكلِّ قيدٍ*

يعـرف الفـجـرُ أن دمعيَ أصـــفى
من نـــداهُ ويعـرفُ الريحـــانُ
هَبْ ندى الفـجـرِ كـالدمع صـــفاءً
أينَ منه البـلوى وأين الحنـــانُ
يعـرفُ الطيبُ أنَّ دمـعيَ أذكـــى
منه عطــــراً وتعـرفُ الأردانُ
تعـرفُ الراحُ أنَّ دمـعي ســلافٌ
وجفـوني كـؤوسُــها والدنـــانُ
أنا أبكـي للّيلِ أوحـشــهُ البـدر
وللقـلبِ هـدّهُ الحـرمـــانُ
أنا أبكـي لكلٍّ طاغٍ فـمـا يســتر
إلا الضـــراعـةَ الطغـيـــانُ
أنا أبكـي لكـــلِّ قـيـد فـأبكي
لقـريضـي تَغلُّـــهُ الأوزانُ
أدمـعي مـن الســماء أنجمُهــا
الزُّهرُ وفـي البـحـرِ دُرُّه والجمـــانُ

* من قصيدة (بدعة الذل).

يا وزيرًا يُطِلُّ بعد وزيرٍ*

يا وزيراً يُطِـــــــــــلُّ بعـد وزير
والعُـلى فـيَ ركـــابهِ والـزمـــــانُ
ربَّ نُعْــمَى تضـــيعُ منـــا إذا
زرتَ ولا ضـــجــةٌ ولا ديدبـــانُ
وإذا فُتَّ أعـــيــنَ النـــاس دَلاً
فلمَنْ صـاغَ حُـسْــنَكَ الرحـمنُ؟
أيُّ بدعٍ في المهـرجانـــاتَ يُصْنَعن
فَـحقُّ المتــــوِّجِ المهـرجـــانُ
ولِمَنْ تُحشَــدُ الجمـوعُ، فـهل زارَ
ولاياتِ ملـكِــــهِ الخـاقــــانُ
لَكُمُ لا لـقَــيـصــرٍ أو لكســرى
رُصِّـعَ التـــــاجُ وازدهى الإيـوانُ
وكـفى هذه الرعـيــــةَ عــزاً
أنهـــا في رحـابِكُمْ ضِـيفـــانُ

* من قصيدة (بدعة الذل).

جَلَوْنا الفاتحين

تَمنَّى الركْبُ وَجْهَكَ والصَّباحا
فَجُنَّ الليلُ مِنْ فَجْرينِ لاحا
بطاحُ القُدْسِ دنَّسها مُغيرٌ
فهل صانت كتائِبُنا البِطاحا؟
ولَم نغضبْ لها أيامَ كانتْ
حمًى نهبًا وشعبًا مُستباحا
نُجابهُ باليَهُودِ دمًا ونارًا
فنُغضي لا إباءَ ولا طِماحا

***

جَلَوْنا الفاتحينَ فلا غُدُواً
نَرى للفاتحينَ ولا رَواحَا
وتعرفُ هذه الحصباءُ منَّا
دَمًا سَكْبًا وهاماتٍ وَراحا
فلا حُرمَ الشهيدُ بِرَوْضِ عَدْنٍ
على بَردَى غبوقًا واصْطِباحا

نَمْ بقلبي

في ذكرى المغفور له الزعيم سعد الله الجابري

أَدُمُوعًا تُرِيدُهَا أَمْ رَحِيقَا
لا وَنُعْمَاكَ مَا عَرَفْتُ العُقُوقَا
تَتَجَلَّى عِنْدَ المَغِيبِ لِعَيْنَيَّ
ضِيَاءً عَذْبَ الحَنَانِ رَفِيقَا
وَجَلاكَ الشُّرُوقُ حَتَّى تَبَيَّنْتُ
مُحَيَّاكَ فَاحْتَضَنْتُ الشُّرُوقَا
نَمْ بِقَلْبِي وَلَوْ قَدَرْتُ مَنَعْتُ الـ
ـقَلْبَ حَتَّى تَقَرَّ فِيهِ الخُفُوقَا
إِنَّ قَلْبِي خَمِيلَةٌ تُنْبِتُ الأَحْزانَ
وَرْدًا وَنَرْجِسًا وَشَقِيقَا
أنا والهَمُّ كُلَّمَا أَقْبَلَ الهَمُّ
مَشُوقٌ يَلْقَى أَخَاهُ المَشُوقَا
أَيُّهَا النَّاعِمَانِ في الغَفْوَةِ النَّشْوى
أَفِيقَا على الصَّبَاحِ أَفِيقَا

سَكِرَ الشعرُ من سُلافِي*

سَـــكِرَ الشِـعْــرُ مِنْ سُلافِي وَعَــبَّتْ
مِن دنَـــاني فَــجُنَّتِ المُوسِــــــيقَـا
وَخْــدَتِي عَـالَـمٌ مِنَ السِّحْــرِ وَالفِــتْنَةْ
حُلْو الَـقطَــافِ خَـمْــراً وَرِيـقَــــا
وَأَدِيمٌ يَغْــفُــو ثَـراهُ عَلَى العِـطْـــرِ
وَيُغْـرِيـــه عَنْبَـراً مَــسْــــحُـوقَـا
طُفْ بِـقَلْبِي تَجِــدْ بِهِ أَلْـفَ دُنْيَـــا
لاَ يُلاقِي الشَـقِـيقُ فِـيـهـا الشَــقِـيقَـا
سَـــكَنَتْـهُ الشُّـمُوسُ مِـنْ كُلِّ أُفْقٍ
وَتَحَـدَى أَشَـــتـاتَـها أَنْ يَضِـيقَــا
حَــفِيَ الفِكْرُ فِي عَـوالِمِــهَــا الفِـيحِ
وَلَمْ يَبْـلُغِ المَكَــانَ السَـــحِـيقَـا
كُـــلُّ أُفْقٍ تَضِــيقُ فِـيــه أَسِـــيراً
سَــعَــةُ الأُفْقِ أَنْ تَكُونَ طَلِـيـقَـا
مُــرْ أُرَنِّح عِطْفَـيْكَ بِالشِّـــعْـرِ
مِنْ عَـيْنَيَ وقَلْبِي مُـنَمْنَمـاً مَنسُــوقَـا

---

* من قصيدة (تَمْ قلبي).

حَضَرِيٌّ الخَيَالِ إنْ ذُكِرَ المَنْبتُ
سَمَّى نَجْداً وسَمَّى العَقِيقَا
عِنْديَ الكَنْزُ لا يَضِيرُ غِنَاهُ
أنْ يَكونَ المَنْهُوبَ والمَسْرُوقَا

يا وحشة الثأر

وَحينَ شَــــرَّدَنَا الطـاغِي وأَرْخَــصَنا
حَنَّا العــراقُ فَــآوَانـــا وأَغْــلانَـــا
ومَنْ تَفَــيّــأَ نَعْــمَــاءَ العــراقَ رأَى
بَالأَهْلَ أَهْلاً وَبـالجيـرانِ جِــيرانَـــا
مـالِي أرى الشُّــمَّ في لُبْنانَ مُغْــضَــيةً
تطـامَنَتْ للـرزَايا شُـــمُّ لُبْنـانَـــا
دَمٌ بِتُــونـــسَ لمْ يُثْــأَرْ لَـــهُ وَدَمٌ
بالـقُــدْسِ ـ هانَ علـى الأيّامِ ـ لا هَـانَا
تَهَلْهَـلَتْ أُمَّـتِي حَـتى غَـدَتْ أُمَـمـًا
وَزُوِّرَ الـوطَنُ المَسْـــلـوبُ أَوْطَانَـا
كَـفَـرْتُ بالحَسَـبِ السَّامي إلى مُضَـرٍ
أَسْــتَغْـفِرُ المجْدَ إنْكـاراً وَكُـفْـرانَـــا
تُطْوَى القُـبـورُ على المَوْتى فَـتَسْـتُرُهُمْ
وفي القُــصُـورِ وفي السُّـلْطانِ مَـوْتَانَا
يا وَحْـشَــةَ الثَّـــأرِ لمْ يَنْهَـدْ لَـهُ أَحَـدٌ
فـاسْــــتَنْجَـدَ الثـأْرُ أَجْـداثًا وأَكْـفـانَا
مَنْ أطْفَـأَ الجُـذْوَةَ الكُبْـرى بأَنْفُـسِـنَا
أَدَهْرُنَا حَــالَ أمْ حَـالَتْ سَـــجـايَانَا؟
مـا في العِـراقِ ولا فـي الشَـامِ مَـوْعِـدُنَا
علَى الثَّنِيَّــةِ منْ حطِّينَ لُقْــيـانَـــا

١٩٥٣

تبارَكَ الشعرُ*

قيلت في تتويج الملك فيصل الثاني

شَـــادِ على الأَيْكِ غَنَّاهَا فَـأَشْـجَــانَا
تَبــارَكَ الشِّـعْــرُ أَطْيابـــًا وَأَلْحَانَـــا
تَرَنَّحَ البَــانُ واخْـضَلَّتْ شَـــــمـائِلُهُ
فَـهَلْ سَـقَى الشِّـعْرُ مِـنْ صَهْبَـائِه البَـانَا
هَلْ كُـــنْتُ أمْلِكُ لَوْلاَ عِـطْرُ نِعْـمَتِـه
قَلْـبًــا عَلِيِّ الوَهَجِ الـقُــدْسِيِّ نَدْيَانَـــا
أَيَطْمَعُ الشِّــعْـرُ بالإِحْـسَـــانِ يَغْمُرُه
والشِّـــعْـرُ يَغْـمُــرُ دُنْيا الله إحْـسَـــانَا
لَوْ شـــــــاءَ عَطَّرَ هذا اللّيلِ غَــالِيَــةً
وَنَضَّــرَ الـرَمْلَ أشْـــواقًــا وَرَيْحــانَا
لوْ شـــــاءَ نَمْنَـمَ هذا النَجْمُ قَــافِـيَــةً
وَنَغَّمَ الـفَــجْــرَ أحْــلامـًا وَأَوْزانَـــا
لَوْ شـــاءَ أنْزَلَ بَدْرَ التـمّ فـاحْــتَـفَلَتْ
به الـنَدامَى ســـراجًـــا في زوايَـانَـــا
ولوْ سَـقـى الشَّـمْسَ مِنْ أحْـزانه نَدِيَتْ
علىَ هَجَـيـرِ الضُّـــحى حُـبّـًا وتَحْـنانَـا

* من قصيدة (ياوحشة الثأر).

يا خالقَ القلب*

يا خَالقَ القَلْبِ: أبْدَعْنَا صَبابَتَهُ
يا خالقَ الحُسْنِ: أبْدَعْناهُ ألْوانَا
قَلْبٌ شَكا لِلْخيالِ السَّمْحِ وَحْشَتَهُ
فَراحَ يَغْمُرُهُ نُعْمَى وأشْجانَا
يُمْنَى السَّرابِ على الصَّحْراء حانيَةٌ
تُضَاحِكُ الرَّكْبَ واحاتٍ وَغُدْرانَا
قاعُ البحارِ أضاءَتْهُ عرائسُنا
ونَدَّت العَدَمَ القاسي عَذَارَانَا
وكُلُّ ذَنْبٍ سِوَى الطُّغْيان نُنْزِلُهُ
على جَوانحنا حُبًّا وغُفْرانَا
وَهَمٌّ كلِّ عُفاةِ الأرضِ نَحْمِلُهُ
كأنَّنا أهْلُهُ هَمًّا وَحِرْمانَا
نُشارِكُ الناسَ بلواهُمْ وإنْ بعُدوا
ولا نُشارِكُ أدناهُم ببلوانَا
ضَمَّتْ مَحَبَّتُنا الأشتاتَ واتَّسَعَتْ
تَحْنُو على الكَوْنِ أجْناسًا وأدْيانَا

* من قصيدة (ياوحشة الثأر).

كافور

كافُـــــورُ قَـــدْ جُنَّ الزَّمَــــانُ وإليْـــــكَ آلَ الصَّوْلَجَـــانُ
خَجِـــلَ السَّـــريـرُ مِنَ الدَّعِيِّ وكَـــادَ يبْكي الأُرْجـــوانُ
كافَــــورُ جَـمِّعْ حَوْلَ عرشِـــكَ كلَّ مَنْ حَقَدوا وهـــانَوا
الخــــاضعونَ لِمَا تشــــاءُ ومَــــا دَرَوْهُ ومَا اسْـــتَبَانُوا
النــــاعمونَ علىَ اليهُــــود على رَعيَّتِــــكَ الخشَـــانُ
للْعَفِّ تَخْـــــوينٌ بدَوْلَتهِـــــمْ وللصِّ ائْتمَـــانُ
أَشْـبَعْتَ بالخُطَـــبِ الجِيَـــاعَ فكُلٌّ هَـــادرة خـــوَانُ
خُطَـبُ الرئيـــسِ هي الكَـــرامةُ والعُلى، وهيَ الضَّمَـــانُ
هيَ للْعُفَـــاة النـــازحينَ لُبَـــانَةٌ وهَــوًى وحَـــانُ
إلحنْ وكَرِّرْ مَـــا تشـــــاءُ فإنّهـــا الخُطَبُ الحسَـــانُ
وإذا رَطَنْتَ فإنّهـــا عَرْبـــــاءُ خالصَـــــةٌ هجَـــانُ[1]
كـــافورُ قَـــدْ عَنَت الوجـــوهُ فكيْفَ لا يَعْنو البَيَـــانُ ؟
يُغْني الشـــآمَ عن الكَـــرامة والنعيـــم المهْرجـــانُ
حُشِـــدَتْ لِطَلْعَتكَ الجمـــوعُ فـهوَّنَ الخَبَـرَ العِيَـــانُ
غرثَى ويَتْخَـــمُ مِنْ لُحـــومِ الأبريـــاء الخَيْـــزرانُ
الراكعونَ، الســـاجِدونَ عَنَـــوْا لوجْهِـــكَ وَاسْـتكانُوا
الجائعـــونَ، وزَرْعُهُـــمْ لكَ والمَنَـــاهلُ والجِنَـــانُ

---

١ – الهجان : الكريمة الخالصة .

القاطفـــــونَ كُرومَهُـــــمْ ولكَ السُّـــــلافَةُ والدِّنـــــانُ
الحـاضنـــــونَ شـقـاءَهم ولكَ المتـــــارفُ واللَّيَـــــانُ
لَكَ عُذْرَةُ العُرْسِ الحـــزينِ فـمـــــا تُعَـــزُّ ولا تُصـــانُ
ولَكَ الظِّـــلالُ فبعضُ جُـــودكَ أن يُفيِّئَهُـــمْ مكـــانُ
ودمـــــاؤهم لكَ والبَنـــونَ فـمـا الأباطـــحُ والرعـــانُ
ولَكَ العبـــــادةُ لا لغَيْـــــركَ والتشَـــهُّدُ والأذان
كـــافورُ أنتَ خَلَقْتَهُـــمْ كونوا ـ هَتَفْتَ بهـــمْ ـ فكانـــوا
يا عَبْـقَـــريَّ الظُّلـــمِ فيـــه لكَ ابْتِـداعٌ وافْتِنـــانُ
نحنُ العَبيْـــدُ فلا تُحرِّكُنـــا الضَّغينَـــةُ واللَّعـــانُ
لا الفَقْـــرُ يُلْهِـبُ في جـوانحنـــا الإبـــاءَ ولا الهوانُ
فاسْـــجُنْ وعَذِّبْ واستَـــبِحْ حُرُماتنـــا ولكَ الأمـــانُ
والظُّلـــمُ مِنْ طَبْـعِ الجَبـــانِ وكلُّ طاغيـــة جبـــانُ
يا أيهـــا الصَّـــنمُ المُدلُّ فمـــا مَنَـــاةُ ومَا المَـــدانُ
سَـــلِمَتْ جُبَـــاتُكَ، قُطْنُنـــا عـاف وحنْطَتُنـــا.. زُوَانُ
جُعْنَـــا ويَسْـــلَمُ للإذاعـــة هيلُهـــا والهيْلَمـــانُ
والشَّـــتمُ منْ آلاتِ نَصْـرِكَ لاَ الَـضِّـــرَابُ ولا الطِّعـــانُ
مَنْ أنتَ؟ عَاصفـــةٌ وتَذْهَبُ مِـثْلمـــا انقشَـــعَ الدُّخـــانُ
مَنْ أنتَ؟.. لا المجْـــدُ الأصيـــلُ ولا شَـــمائلُهُ اللِّـــدانُ
مَنْ أنتَ؟.. لولا صَـــوْلَةُ الطُّغيـــانِ، أنتَ إذَنْ فُـــلانُ
كـــافورُ عَرْشُـــكَ للفَنَـــاء ورُبَّمـــا آنَ الأوانُ
الخـــالدانِ ـ ولاَ أَعُـدُّ الشَـمْسَ ـ شِـــعْرِي والزَّمـــانُ

فرعون

قُــــلْ للَّـــــدات بتــدْمُرٍ[1] عَزَّ المُفـــــاخرُ والنَّديـــــدُ
ســجْنٌ تَضـــيقُ كُهــوفُهُ والسَّـــهْلُ مُنْبَســـطٌ مديدُ
مادَ الطغـــــاةُ بكم، فيـــــا فَلَكَ الســـــماء ألا تميـــدُ ؟
يا ربِّ عَفــــوَكَ إنْ ســـــألتُ وأنتَ تعلَـــمُ مَنْ أُريـــــدُ
منْ أي طـــــين أُنْشـــئَ الظمــــــآنُ للــــدم والحَقُــودُ
أَللَيِّنونَ على العَــــدُوِّ وبَأْسُـــهُمْ فينـــــا شـــديدُ
فرْعَوْنُ وجْهــــكَ في كنــــانَتكَ العبـــادةُ والســــجودُ
ما للطغـــــاة ســـيادةٌ، يُخْشَـــى الظَّــــلامُ ولا يَسُـــودُ
يا قاتـــلاً بأَخٍ أخـــــاهُ، كـــــلا قـتيلَيْكَ الشـــــهيدُ
بادَ الطُّغـــــاةُ جميعهُـــمْ أمّـــــا الشـــعوبُ فــــلا تَبيدُ

١٩٦٦

١ - كانت تدمر معتقل الأحرار .

الشعر والشاعر*

أنا ملكُ إلهامي فلا أُبدي هناكَ ولا أُعيدُ
ما رُحْتُ أُحكُمُ بالقصيد وراح يَحكمني القَصيدُ
إنْ شاءَ تَمَّ لنا اللقاءُ وإنْ يشأْ كُتبَ الصُّدودُ
والأمْرُ ما يختارُهُ هو سَيِّدٌ وأنا المَسودُ
وأُريدُهُ فيفوتُني ويزور ساعةَ لا أُريدُ
سِرِّي وأجْهَلُ كُنْهَهُ فقديمُ صُحْبَتِنا جديدُ
والروحُ أقْرَبُ ما إليكَ وغَيْبُها الداني البَعيدُ
الشِّعْرُ أنغامٌ مُعطَّرةٌ ولُؤلؤةٌ وجيدُ
فيه الهوى والأريحيةُ والسُّلافةُ والمزَيدُ
فَرَحٌ مُقيمٌ في سَرائرنا وقافيةٌ شَرودُ
أوزانُهُ عِقدُ الحريرِ على العرائسِ لا القُيودُ
الصائناتُ لهُ كما صينَتْ بعفتِها النُّهودُ
نورٌ تُحدِّدُهُ الحروفُ وتُخطِئُ النورَ الحدودُ
أحلى الصِّعابِ قصائدٌ ونواعمٌ كالوَرْدِ خُودُ
ومنَ التَّمنُّعِ ما يُدَلِّلُهُ بالجَمالِ وما يزيدُ
الشِّعْرُ والحُسْنُ المُدلُّ كلاهُما طاغٍ عنيدُ
أنا ساحرٌ لَمسَ الغصونَ وضَمَّها فهي القدودُ

---

* من قصيدة فرعون .

ومنَ الشــــقائقِ حين أقطفُهـــا المراشــفُ والخـــدودُ
ومن الدمــوعِ وقـدَ ضَـنَّتْ بهـــا اللآلئُ والعقـــودُ
وغَمَـــرْتُ عطـــرَ الأُقحـــوان فنَوَّرَتْ شَـــفَةٌ بَرودُ
والعبقريـــةُ كالضُّـــحى من بعض نعْمَتـــه الوجـــودُ
وأنا الغــريب بموطنـــي وأنا المُشَــرَّدُ والطـــريدُ

البلبل الغريب

مهداة إلى حفيدي محمد

أَلُمُّ بكَفَّيَّ النجومَ وأنتقي
مُزَرَّرَها في بَاقَتي والمُعَصَّبَا
تَغَرَّبَ عنْ مُخْضَلَّةِ الدَّوْحِ بُلْبُلٌ
فشَرَّقَ في الدُّنيا وحيدًا وغَرَّبَا
وغَمَّسَ في العِطْرِ الإلهيِّ جانحًا
وزَفَّ من النور الإلهيِّ مَوْكَبَا
تَحَمَّلَ جُرْحًا دَاميًا في فُؤاده
وغَنَّى على نَأيٍ فأَشْجَى وأَطْرَبَا

فيينا في ٣١ آب ـ أغسطس ١٩٦٣

هبينيَ حُزنًا لم يمرَّ بمهجةٍ*

سَلِي الجَمْرَ هلْ غالَى وجُنَّ وعَذَّبا
كَفَرْتُ به حتى يشُوقَ ويَعْذُبا
ولا تَحْرِميني جُذْوةً بعد جُذْوَةٍ
فما اخْضَلَّ هذا القَلْبُ حتى تَلَهَّبا
وما نالَ مَعْنى القَلْبِ إلاّ لأنَّهُ
تَمَرَّغَ في سَكْبِ اللّظى وتَقَلَّبا
هَبِيني حُزْنًا لَمْ يمُرّ بمُهْجَةٍ
فما كُنتُ أرضى منكِ حُزْنًا مُجَرّبا
وصُوغيه لي وَحْدي فريداً وأشفقي
على سِرِّهِ المَكْنونِ أنْ يتَسرَّبا
مَصُونًا كأغلى الدرِّ عَزَّ يتيمُهُ
فأودِعِ في أخفى الكنوزِ وغُيِّبا
وصُوغيه مَشْبوبَ اللّظى وتخيَّري
لآلامه ما كانَ أقسى وأغْرَبا
وصُوغيه كالفنّانِ يُبدِعُ تُحْفَةً
ويَرْمُقُها نَشْوانَ هَيْمانَ مُعْجَبا

* من قصيدة (البلبل الغريب).

ويا رَبَّ أحْـزاني وِضَـــــاءٌ كـأنَّني
سَــــكَبْتُ عليْـهنَّ الأصــيلَ المُذَهَّبـا
ترَصَّـــدَ نَجْمُ الـصُّــبْحِ منهُنَّ نَـظرةً
وأشــــرفَ مِنْ عَـلْيـائِهِ وتَـرَقَّـبَـــا
فـأرْخَيْتُ آلافَ الـسُّـــــتور كـأنّني
أمُدُّ على حـالٍ منَ النورِ غـيْـهَبــــا
فـغَـوَّرَ نَجْمُ الصُّــبْحِ يأسـًا ومـا رأى
على طُهْــرِه ـ حـتى بَنَانًـا مُـخَـضَّبـــا
وقـدْ تَبْــهَـرُ الأحـزانُ وهيَ سَـــوافـرٌ
ولكـــنَّ أحْــلاهُنَّ حُــزْنٌ تَنَقَّــبـــا

أرى طيفَكِ المعسول*

أرى طيفَكِ المَعْسولَ في كلِّ ما أرَى
وَحدْتُ ولكنْ لمْ أجِدْ منه مَهْرَبا
سَقانِي الهوى كأسَينِ: يأساً ونعْمةً
فيالَكَ منْ طَيْفٍ أراحَ وأتْعَبا
وخَالَطَ أجْفاني على السُّهْد والكَرى
فكانَ إلى عَيْنَي مِنَ الجَفْنِ أقْرَبا
شَكَوْنا لَهُ السَّمْراءَ حتى رثَى لنا
وجَرَّأنَا حتى عَتَبْنا فأعْتَبَا
وناوَلَني مِنْ أرْزِ لُبْنانَ نَفْحَةً
فَعطَّرَ أحزاني ونَدَّى وخَضَّبا
وثَنَّى برَيَّا الغُوطَتَيْنِ يُذيعُها
فهَدْهَدَ أحلامي وأغْلى وَطَيَّبا

* من قصيدة (البلبل الغريب).

ويا ربِّ من أجل الطفولة وحدها*

يَزُفُّ لنا الأعْيادَ عيداً إذا خَطا
وعيداً إذا ناغَى وعيداً إذا حَبَا
كَزُغْبِ القَطا لو أنّهُ راحَ صَادِيًا
سَكَبْتُ له عَيْنِي وقَلْبي لِيَشْرَبا
يَنامُ على أشواقِ قلبي بمهْده
حريراً مِنَ الوَشْي اليَماني مُذْهَبا
وأُسْدِلُ أجفاني غطاءً يُظِلُّهُ
ويا لَيْتَها كانتْ أحَنَّ وأَحْدَبا
وتَخْفُقُ في قَلْبي قُلوبٌ عديدةٌ
لقدْ كانَ شعْبًا واحداً فتَشَعَّبا
ويا ربِّ من أجلِ الطُّفولَة وحْدَها
أَفضْ بَرَكاتِ السِّلْمِ شَرْقًا ومَغْرِبا
ورُدَّ الأذى عنْ كُلِّ شَعْبٍ وإنْ يكُنْ
كَفُوراً وأحبِبْهُ وإنْ كانَ مُذنِبا
وصُنْ ضحْكَةَ الأطْفال يا ربِّ إنّها
إذا غَرَّدَتْ في موحِشِ الرَّمْلِ أعْشَبا

* من قصيدة (البلبل الغريب).

مـلائكُ لا الجنَّـاتُ أنْجَـبْنَ مـثْلَهُمْ
ولا خُلْدُها ـ أسْـتـغْـفـرُ اللهَ ـ أنْجَـبَـا
ويا ربِّ حَـبِّـبْ كُلّ طفـلٍ فـلا يَرَى
وإن لَجَّ في الإعنـاتِ وجـهًـا مـقَطِّبـا
وهيِّئْ لــه في كُلِّ قـلبٍ صـبـابـةً
وفي كُلِّ لُقْـيَا مَـرْحَـبًا ثـمَّ مَـرْحَـبـا

سقى الله عند اللاذقية شاطئًا*

سقى اللهُ عندَ اللاذقيَّة شاطئًا
مُراحًا لأحلامي ومَغنًى ومَلعَبا
وأرْضَى ذُرَى الطَّوْدِ الأشَمِّ فطالما
تحَدَّى وسامى كُلَّ نَجْمٍ وأتْعَبا
وجادَ ثَرى الشَّهْباء عطرًا كأنهُ
عَلى القَبْرِ[1] مِنْ قَلْبي أُريقَ وَذُوِّبا
وحَيَّا فَلَمْ يُخطِئْ حَماةَ غَمامُهُ
وَزَفَّ لحِمْصَ العَيْشَ رَيَّانَ طَيِّبا
ونَضَّرَ في حَوْرانَ سَهْلاً وشاهقًا
وباكَرَ بالنُّعمى غَنِيًّا ومُتْرِبا
وجَلْجَلَ في أرضِ الجزيرة صَيِّبٌ
يُزاحِمُ في السُّقيا وفي الحُسْنِ صَيِّبا
سحائبُ من شرقٍ وغربٍ يلمُّها
مِنَ الريحِ راعٍ أهوجَ العنفِ مُغْضَبا
يؤَلِّفُها حينًا وتَطفرُ جُفَّلاً
وحاولَ لم يقنطْ إلى أنْ تغلَّبا

* من قصيدة (البلبل الغريب) .

١ - قبر المرحوم سعد الله الجابري .

فلمْ أدرِ هـلْ أمَّ السـمـاءَ قطيـعُـهُ
مِنَ الغـيمِ أو أمَّ الخِـبـاءَ المطَنَّبـا
تَبَـرَّجَ للصـحـراءِ قـبلَ انسـكابه
فلو كـانَ للصـحـراءِ ريقٌ تحلَّبـا

أتدري الرُّبى أنَّ السماوات سافرتْ؟*

ومَرَّتْ على سُمْرِ الخيامِ غَمامةٌ
تَجُرُّ على صَادٍ مِنَ الرَّمْلِ هَيْدَبا[1]
نطِافٌ عِذَابٌ رشَّها الغَيْمُ لُؤْلُؤًا
وتبْرًا فما أغْنَى وأزْهى وأعْجَبا
حَبَتْ كُلَّ ذي روحٍ كَريمَ عَطائها
فَلَمْ تَنْسَ آرامًا ولمْ تَنْسَ أذْؤُبا
وجُنَّتْ مَهاةُ الرَّمْلِ حتى لَغَازَلَتْ
وجُنَّ حَمامُ الأيْكِ حتى لَشَبَّبا
وطافَ الغَمامُ السَّمْحُ في البيدِ ناسكًا
إلى اَللهِ في سُقْيا الظِّماء تَقَرَّبا
عواطِلُ مَرَّ المُزْنُ فيهنَّ صائغًا
فَفَضَّضَ في تلك السُّهولِ وذَهَّبا
وَرَدَّ الرِّمالَ السُّمْرَ خُضْرًا وحاكَها
سماءً وأغْناها وَرَشَّ وكَوْكَبا
وَرَدَّ ضُروعَ الشَّاءِ بالدَّرِّ حُفَّلاً
لِتُرْضِعَ حُمْلانًا جِياعًا وتُحْلَبا

---

* من قصيدة البلبل الغريب.

١ – الهيدب : السحاب المتدلي .

ولاعَبَ في حـــالٍ من الرَّمْـــلِ رَبْـربًا
وضـاحَـكَ في غـالٍ مِنَ الـوَشْي رَبْرَبا[1]

وجَـمَّـعَ ألوانَ الضِّـيـــاءِ ورَشَّـــهـا
فـأَحْـمَـرَ وَرْدِيًّا وأَشْـــقَـرَ أصْـهَـبَـــا

وأخْـضَـــرَ بينَ الأَيْكِ والبَـحْـــرِ حـائراً
وأبيَضَ بـالوَهْجِ السَّـــمـاويِّ مُـشْــربَا

ولَونًا منَ السَّـــمْـراءِ صـيـغَـتْ فُـتُـونُهُ
بَيـاضًـا نَعَمْ لـكــنْ بَيـاضًـا تَعَـرَّبَـــا

أتدري الرُّبَى أنّ الســمـاوات سَـافَـرتْ
لِتَـشْـــهـدَ دُنْيـــانا فـأَغْـفَـتْ عـلى الرُّبَى

١ - القطيع من بقر الوحش .

عاد الغريب

حَلَفْتُ بالشَّامِ هذا القَلْبُ ما هَمَدا
عنْدي بَقايا مِنَ الجَمْرِ الذي اتَّقَدا
لَثَمْتُ فيها الأديمَ السَّمْحَ فالْتَهَبَتْ
مَراشِفُ الحورِ منْ حَصْبَائِها حَسَدا
قدْ ضمَّ هذا الثَّرَى مِنْ صِيدها مِزَقَا
إِرْثَ الفتوحِ ومِنْ مُرَّانِها قِصَدا[1]
أُلَمْلِمُ الجَمَراتِ الخُضْرَ منْ كبِدي
وأَسْتردُّ الصِّبا والحُبَّ والكَبِدا
وأرْشِفُ الكأسَ مِنْ عطرٍ ومِنْ غَيَدٍ
فأُسْكِرُ المُتْرَفينَ العطْرَ والغَيَدا
فدَيْتُ سمراءَ مِن لُبنانَ ساقِيَةً
حَنانَها ما اختَفى مِنْ غُربَتي وبَدا
فدَيتُ جَفْنَيْنِ منْ سَكْبِ الدُّجَى اكْتحَلا
إذا سَهِدْتُ على جَمْرِ الغَضا سَهِدا
سَقَيتُ خَمْرَةَ أشعاري لمى شَفَةٍ
بَخيلَةٍ فسَقَتْني الشَّهْدَ والبَرَدا
وإنْ كَبِرْتُ فلِي كنْزا هوًى وَصِبًا
نهدانِ مِنْ نُعَيْماتِ اللهِ قدْ نَهَدا

١ - جمع قصدة : وهي القطعة من كل ما يكسر .

أوْدَعْتُ عنْدهمـا بعضَ الشـــباب فـمـا
خـانَـــــا وديعـةَ أيـــامي ولا جَـحَـدَا
عـادَ الغريبُ ولـمْ تَظْمَــــأ ســـــريرتُهُ
فـقـدْ حَـمَلْتُ بهـا في غُـربَتـــي بَردَى
مَنْ رَوَّعَ البُلبـلَ الهــــاني وأجْـفَلَـــــهُ
عنْ أيْكـه وسَـــــقـــاهُ الحَـتْف لوْ وَرَدا
جـــــلانـي الظُّلْمُ أشـــــلاءً مُـمَزَّقَـةً
واحْـتَـزَّ أكْـرَمَـهُنَّ: القلبَ والولَــــدا
تُصْـغي النجومُ إلى نَوْحـي فيُـسْــكرُها
يَبكي الهَـزارُ ويَبْـقَـى مُـسْـكِـراً غَـرِدَا
قلبي الذي نَضَّـرَ الدنيـــــــا بنعـمته
رأى من الحَـقـد أقـسَـــــاهُ ومـا حـقـدا
فَيــــــا لَقلـبٍ غَنِيٍّ النُّور مَـزَّقــــــهُ
على النَّوى حِـقدُ أحـبابٍ وحِـقدُ عِـدى
دَعُوا كـرامَتِي العَـصْـــــمـاءَ نازلــــةً
على الشُّـــمـوسِ تُذيعُ الحُـسنَ والرَّأدَا
وكـيف أعنُو لجبَّـــــار وقــــد ملكتْ
يميني القَـــمرَينِ: الشِّـــعـرَ والصيـدا
تَفَـــــرَّدَ الله بالأرواح يُبـدعُهـــــا
مَن سِـــرِّه لم يُشــاركْ غَـيبَـهُ أحـدا

تفـــــــرَّد اللهُ بالأرواحِ لا مـــــــلأ
جَــلاَ لَهُ ســــــرَّهـا الأعلى ولا بـلدا
ومـيَّز الشـــــــامَ بالنُّعـمَى ودلَّلهـــاَ
فـمن ثرى الشـامِ صاغَ الـروحَ والجسـدا
ثراكِ والدُّرُّ مـا هانـــا وإن ظُلمـــــا
وأنتِ والنورُ مـــا ضـاعـا وإن جُـحِـدَا

الطاغية*

يَسُــــومُنا الـصنَمُ الطـــاغِي عـبـادتَهُ
لن تعـبـدَ الشـامُ إلا الـواحِـدَ الأحــدا
وَجْهُ الـشـــآمِ الذي رَفَّتْ بشـاشـتـهُ
منَ النعـيم لِغيـر الله مـا سـجـداَ
تفنَّن الصـنمُ الطـــاغـي فـألفُ أذًى
وألـفُ لـون من البـلْـوى وألـفُ ردى
أنْحَى عـلى الشـامِ أريافًـا وحـاضـرةً
فلم يدعْ سَـبَـدًا فـيـهـا ولا لَبَـدا
جُـهـدُ العُـفـاةِ من العُـمَّال جـزيتـهُ
وكَلُّ مـا قطف الـفـلاحُ أو حـصـدا
دَعِ الشـآم فـجـيـشُ اللـه حارسُـهـا
مَنْ يقـحِـم الغـابَ يـلقَ الضَّـيغَمَ الحَـرِدَا
ومن حـمى ظُلْـمَ فِـرعـون لأمتـه
فَـقَـد تـفَـرْعَنَ طُغـيـانًا ومُـعـتـقـدا
يا راقـدَ الثـأرِ لم يأرقْ لجـمـرتـه
جيـشُ الشَـآم عن الـثـارات مـا رقـدَا

* من قصيدة (عاد الغريب) .

تألَّهَ الفـردُ حينًا ثم عـاصفـةٌ
هَدَّارةٌ فكـأنَّ الـفـردَ مـا وُجِـدا
تُبنى الشعـوبُ على قُـربى ومَـرحَـمـة
ومـا بنى الحَقـدُ لا شَـعبًا ولا رَغـدَا
آمَنتُ بالفـردِ حُـرًا في عـقـيـدتـه
وكـلَّ فـردٍ ومـا والى ومـا اعـتـقـدا

هشّت إليّ قبور*

ضمَّ الثرى من أحبَّائي ليوثَ شرىً
وغابَ تحتَ الثرى منهمْ شموسُ هُدى
لِذاتيَ الصيدُ، شَلَّ الموتُ سِرحَهم
ليتَ النجومَ وروحِي لِلَّذات فِدى
الراقدونَ وجفنِي من طيوفهم
في سَامرٍ ضَجَّ في جفني فما رَقَدا
قبورُ أهلي وإخواني وغافيةٌ
من الطيوفِ وأسرارٌ ورجْعُ صدَى
والليلُ والصمتُ والذكرى وكنزُ رؤىً
لمحت ماردَ جنٌّ حولَهُ وُصِدا
ووحْشَةٌ لَفَّتِ الدنيا برهبتها
ولفَّتَ الغَيبَ والأحلامَ والأبدَا
الحانياتُ على تلك القبورِ مَعي
ونبَّهَ الفجرُ طيراً غافيًا فشدا
حتى بكيتُ فذابتْ كلُّ واحدة
منهنَّ فِي أدمعِ النائي الذي وفدا
هَشَّتْ إليَّ قبورٌ، أدمعي عبِقٌ
على الرِّياحينِ في أفيائها وندى
ضمَّتنيَ الشامُ بعد النأي حانيةً
كالأمِّ تحضنُ بعد الفرقةِ الولدا

* من قصيدة (عاد الغريب) .

حنين الغريب

تُطوحُني الأســفارُ شرقًا ومغربا
ولكنَّ قلبي بالشآمِ مُقيمُ
وأسمعُ نجواها على غيرِ رؤيةٍ
كأنيَ علَى طُورِ الجلالِ (كَليمُ)
وما نالَ من إيماني السمحِ أنني
أُصلِّي لها في غُربتي وأصومُ
يُلاقي العَظيمُ الحقدَ في كل أمةٍ
فلم ينجُ منَّ حقدِ الطغامِ عظيمُ
ويا ربَّ قلبي ما علمتَ محبةٌ
وعطرٌ ووهجٌ من سناكَ صميمُ
قد اختصرتُ دُنيا بقلبي وعالمٌ
كما اختصرَ العِلمَ الشتيتَ رقيمُ
وأُعرِضُ إعْراضَ الخليِّ من الهوى
وبي من هواها مُقعدٌ ومُقيمُ
وما حِيلتي إن نَمَّ عن نفسه الهوى
هَوَ العطرُ والعطرُ الزكيُّ نَمومُ
تشابهتِ السمراءُ والدهرُ شيمةً
كِلاَ القَادرَيْنِ القَاهِرَيْنِ ظَلُومُ

وأُكــرِمُـهــا عن كـــلٍّ لومٍ وأنثنــــي
أُعـــاتـبُ قلبــــــي وحـــــدَهُ وألومُ
ولو أن شـــعـــري دلَّــلَ الريمَ نافـــراً
تلفّــتَ يجـــزينـــي الصــبـــابةَ ريمُ

وشعرٍ كآفاقِ السماء*

وفـــاءٌ كَـمُـزنِ الغـوطتيـــنِ كـريمُ
وحبٌّ كنعـمـاءِ الشـــآمِ قـديمُ
وشـــعرٌ كـآفـاقِ الـســمـاء تَبَـرَّجَتْ
شُــمـوسٌ على أنغـــامـهِ ونجـومُ
يَلُمُّ (شـفـيقٌ)[1] كـوكـبًا بعـد كـوكـب
ونسَّـــقَ منهـــا العـقـدَ فـهـو نظيمُ
مــعـــانٍ بألـوانِ الجـمـــال غنيَّـةٌ
كـمـا زفَّ ألوانَ الطـيـوبِ نســيمُ
ووشيٌ كـأحـلامِ الشــبـاب يصُـوغُـهُ
أنيقٌ بأســـرارِ البـــيــانِ علـيمُ
سـقـانِي سُلافَ الشـعـرِ حـتى ترنَّحتْ
دمـــوعٌ وغنَّتْ لـوعـــةٌ وكُلُـــومُ
فـفي كلِّ بـيتٍ ريقــةٌ أو سُــــلافـةٌ
وريحــــــانةٌ شـــاميَّــة ونديمُ

---

* من قصيدة (حنين الغريب) .

١ - شفيق جبرى الشاعر الكبير . وقد اطلع على قصيـدة (البلبل الغريب) فنظـم قصيدة رائعـة بعث بهـا إلى الشاعر فى جنيف .

العقل*

فررتُ إلى قلبي من العقلِ خائفًا
كما فرَّ من عَدْوَى المريضِ سليمُ

تألَّهَ عقلٌ أنتَ يا ربِّ صُغْتَهُ
وكادَ يردُّ الميتَ وهو رميمُ

وضاقت به الدنيا ففي كلِّ مُهجةٍ
هواجسُ من كُفرانِه وغمومُ

وأبدَعْتَ هذا العقلَ نُعمى قطافُها
فنونٌ كأطيابِ الهوى وعلومُ

تَرِفُّ حضاراتٌ عليه وضيئةٌ
وخيرٌ كإغْدَاقِ السماءِ عميمُ

فما بالُ هذا العقلِ جنَّ جنونه
فردَّ ملاكَ الطُّهرِ وهو أثيمُ

وزلزلَ منه البرَّ والبحرَ كافرٌ
بنُعْمَاكَ مَرْهُوبُ الحُتُوفِ غَشُومُ

تحدَّاكَ حتى كادَ يزْعُمُ أنه
شريكٌ لجبَّارِ السماءِ قسيمُ

وحاولَ غزوَ النيِّرَيْنِ فردَّه
عَنِ الذُّروةِ العصماءِ وهو رجيمُ

وَكُفَّ عنانَ العقلِ قسرًا فربما
أثيرَ بإلحاحِ السفيهِ حليمُ

---

* من قصيدة (حنين الغريب).

وهيهات منّي في البحيرة دمّر*

تُبـــادهُني عند البـحيـــــرة دُمَّـرٌ
وروضٌ على أفـيـائهـــا وشــــمِـيمُ
ووُرقٌ على شــــطِّ البـحيـــرة حُـوَّمٌ
وورقٌ علـى قلبِ الـغـــريبِ تحُــــومُ
خـيـالٌ جَـلا لي الشـامَ حتى إذا انطوى
تنـــازعَ قلبــي عـبــرةٌ ووجُــــومُ
وحــيّتْ من الروحِ الـشــآميِّ نفـحـةٌ
ولُوعٌ بأشـــتـــاتِ الطُّيــوبِ لَمــــومُ
وهانٍ[1] بنعـــمـــاءِ الـطفـولـة مــا درى
أَهـــادَنَ دهــــــرٌ أم ألحَّ خـصـيمُ
وهيـهـــاتَ مني في البـحيــرةِ دُمَّـرٌ[2]
وســــجـعٌ بوادي الربوتـيـــنِ رخـــيمُ
إذا لاحَ لي وجـهُ البحيــــرةِ قـاتمـــاً
ألَحَّ عليـــــه عـــــــاصفٌ وغـيــومُ
فــوجـــهُ أديمِ الشــــامِ طَـلْقٌ منوَّرٌ
ووجـهُ بحـيـراتِ الســمـاءِ قـســـيمُ

---

* من قصيدة (حنين الغريب)، و(دمّر) ضاحية من ضواحي دمشق.

١ – حفيده محمد.

٢ – ضاحية من ضواحي دمشق.

ويحـزنُنـي دوحُ البحـيـــرةِ عـاريـًــــا
وأوراقــهُ الخـضـــــراءُ وهي هشـــــيمُ
وأبســــطُ كـفي أقطفُ الماءَ عـابـثـًـا
كـــأن المويجـــاتِ الصـغارَ جـمـيمُ(٣)
وتلك الظـلالُ الحـاليـــاتُ عــواطـلٌ
على كـلِّ أيكٍ وحـــشـــــةٌ وســـهـــومُ
تعـرَّتْ من الـغـيـدِ المـــلاحِ وطالمـــا
تغـطَّـى بأســـــــرابِ المــــلاَحِ أديمُ
رُسـومُ هوىً مـا استوقـفتْ خطوَ عـابرٍ
كـمـا استَوقـفتْ ركـبَ الفـلاةِ رُسـومُ
ولا لثمَ الحـصبـــاءَ فـيهــــــا متُيَّمُ
يشـــمُّ الـهـوى من عطرِهـــا فَـيَـهـيمُ
يُجلِّلُهـــــا الليلُ البـهـيـــمُ ومثـلُهم
ضُـحىً كـــالدجى غَـمـرُ السـوادِ بهـيمُ
وشمسُ الضُّـحى خودٌ كـعابٌ يضُـمُّهـا
لغـيـــــرانَ من صـيــدِ الملوكِ حــريمُ
يُرَدُّ ويُجلَى عـن كُـوىَ الغـيمِ وجـهُـهَـا
كـمـــــا رُدَّ عن بـــــابِ البـخـيلِ يـتـيمُ

٣ - النبت يغطي الأرض .

ويشكو الضحى من هجرِها مُتوجِّعًا
ويوحشُهُ هجرانُها ويضيمُ
تأبَّتْ على جُهدِ الضُّحى فكأنها
من الغيدِ مِكْسالُ الدلالِ نؤومُ
وضمَّ الظلامُ السَّكْبُ ظلاًّ لجاره
كأن الظِّلالَ المغفياتِ جُسُومُ
يُطارحُني دوحُ البحيرة شجوهُ
كَلانا مُعنَّى بالزمانِ هضيمُ
وأشكُو له البلوى ويَشكُو كأننا
حميمٌ يُساقيهِ العزاءَ حميمُ
أتشكو ولكن عندكَ الريحُ والدُّجى
وللجنِّ من شتى الظلالِ نجومُ
وعندكَ آلافُ الطيوفِ حوائمٌ
رَوانٍ لأسرارِ البحيرةِ هِيمُ
تُلملمُ أسرارَ البحيرةِ شُرَّدًا
ويَفتنُها سَكْبُ الشذا فتريمُ
هنا كلُّ أسرارِ البحيرةِ والرُّؤى
طوافرُ في دنيا الخفاءِ تهيمُ
هنا عرسُ الأطيافِ يفترش الدُّجى
ويقعدُ في أحضانِه ويقومُ

خـفـــاءٌ يضجُّ الـصمتُ فـيـــه وبلبلٌ
تحـدَّى ضـجـيجَ الصـمتِ فـهــو نغـومُ
ولفَّ الخـفاءُ الحُـسنَ حتى شكى الهـوى
وغــــــارَ حـريـرٌ مُـتــــرَفٌ ورقــومُ
فـدعْ لومَهُ إنْ لـم يلُـحْ لكَ ســــحـرهُ
خَـيـالُكَ لا سِــــحـرُ الخـفـــاءِ ملومُ
هنـــا ألَّـف الأطيـــارَ والنـــاس رحـمـةٌ
فللـطيــــرِ أُنــــسٌ فـيــهمُ ولـــزومُ
إذا انبســــطت راحٌ فللطيــــرِ فـوقَـهـا
حنينٌ إلى ســــــمحِ القـــرى وجـثـومُ
فيـــا خجـلـةَ الصـحراء لم ينـج جُؤذرٌ
ولا قــرَّ عـــينًـــا بالأمــــــان ظـليمُ(٤)
شكا الطيـرُ من ظُـلمِ الأناسيِّ واشـتكتْ
ظبـاءٌ وعـشــــبٌ في الفــــلاةِ نجـيمُ
فـيـا ربِّ لا أقـوى من الطيــرِ عـشُّــهُ
ولا راعَ أســـرابَ الـظبـــاءِ غـــريمُ
ولا أوحـشـــتْ رمـلَ الفـــلاة جـآذرٌ
ووردٌ يـنُــــدِّي حَــرَّهــــــا وَفُــغُـومُ

---

٤ – الظَّليم ذكر النعام .

وكلٌّ غمامٍ مرَّ في الرملِ ديمةٌ
وكلُّ كناسٍ للظباءِ مديمُ[٥]
رمالٌ كَبُردِ عاطلِ الوشي حاكَهُ
صناعٌ مُعَنّى بالبرودِ سؤومُ
فزوَّقهُ بالوشيِ غادٍ ورائحٌ
وعَدْوُ جيادٍ ضُمَّرٍ ورسيمُ
ويا ربِّ تدري الشامُ أني أحبُّها
وأفنى وحبِّي للشآمِ يدومُ
وفي كلِّ أيكٍ لي على الشامِ منسكٌ
وفي كلِّ دوحٍ زمزمٌ وحَطيمُ
ويا ربِّ إن سبّحتُ والشامُ قبلتي
فأنتَ غفورٌ للذنوبِ رَحيمُ

٥ – المديم : ما أصابته الديمة وهي المطر الدائم في سكون .

من وحي الهزيمة

رملُ سيناءَ قبرُنا المحفورُ
وعلى القبرِ مُنكرٌ ونكيرُ
لا شهيدٌ يُرضي الصحارى، وجَلَّى
هاربٌ في رمالها وأسيرُ
لم يُعانِ الوغى "لواءٌ" ولا عانى
"فريقٌ" أهوالَها و "مُشيرُ"
رُتَبٌ صُنعةُ الدواوينِ.. ما شاركَ
فيها قَرٌّ الوغى والهجيرُ
جَبُنَ القادةُ الكبارُ وفرُّوا
وبكى للفرارِ جيشٌ جَسُورُ
هُزِمَ الحاكمون والشعبُ فِيَ
الأصفاد، فالحُكْمُ وحده المكسورُ
هُزِمَ الحاكمونَ . لم يَحْزَنِ الشعبُ
عليهم ، ولا انتخى الجمهورُ
لا تَسَلْ عن نميرِها غُوطَةَ الشام
ألحَّ الصَّدى وغَاض النميرُ
وانْسَ عِطر الشآم ، حيث يُقيم
الظُّلمُ تنْأى.. ولا تُقيمُ العطورُ

بعضُ حـريـتي الســمـاواتُ والأنجمُ
والشــمــسُ والضـحى والبُـدورُ
بعـضُ حـريـتـي الملائكُ والجنـةُ
والراحُ والـشــذا والحُـبـورُ
بعضُ حـريتـي الجـمـالُ الإلهيُّ
ومنه المكشـوفُ والمسـتـورُ
بعضُ حـريتـي ويكتـحلُ الـعـقـلُ
بنورِ الإلـهـام، والـتـفكيـرُ
بعضُ حـريتـي. ونحـنُ القَـرابينُ
لمحـرابِهـا، ونحن النُّـذورُ
بعضُ حـريـتي، من الصُّبحِ أطيـابٌ
ومن رقـةِ الـنسـيم حـريـرُ
نحنُ أسـرى، ولو شَـمَـسْنا على القَـيـدِ
لمـا نالنَـا الـعـدوُّ المُغـيـرُ
هل دَرتْ عـدنُ أنَّ مـسجـدَها الأقـصى
مكـانٌ من أهلـهِ مـهـجـورُ
أين مـسرى البُـراقِ، والقـدسُ والمهـدُ
وبيتٌ مُـقـدَّسٌ مـعـمـورُ؟
لم يُرتَّـلْ قـرآنُ أحـمـدَ فـيـه
ويُـزارُ المـبكـى ويتُـلـى الزبـورُ

أين آيُ القـرآنِ تُتلى على الجـمـعِ
وأين التـهـليـلُ والتكبيـرُ؟
أين آيُ الإنجـيلِ؟ فـاحَ من الإنجيلِ
عطرٌ وضـوأَّ الكـونَ نُـورُ
كُحِلتْ بـالثـرى الخضيبِ جُفونٌ
وهفتْ لـلثـرى الحبيبِ ثغـورُ
لا تُشقُّ الجيوبُ في محنـةِ القُدسِ
ولكَنهـا تُشـقُّ الصـدورُ
أنا حُـزنٌ شـخصٌ يروحُ ويغـدو
ومسـائي مع الأسى والبُكـورُ
طَرَدتني الأكـواخ، والبـؤسُ قُـربـي
وتعـالتْ على شـقـائي القُصـورُ
حـامـلاً محنـةَ الخِيـام، فَتَزْوَرُّ
وجـوهٌ عنـي وتُغلَـقُ دورُ!
ألخِيـامُ المُمـزَّقـاتُ وأمٌّ
في الزوايـا وكسْـرةٌ وحـصـيرُ
وفـتـاةٌ أذلَّهـا العُـرْيُ والجـوعُ
ويلهـو بالرَمـلِ طفـلٌ صـغيـرُ
كلمـا أنَّ في الخـيـامِ شـريدٌ
خـجِلَ القـصـرُ والفـراشُ الوثيـرُ

خجلَ الحاكمونَ شرقًا وغربًا
ورئيس مُسيطِرٌ ووزيرُ
هيئةٌ[1] للشعوبِ تُمعِنُ في الذنبِ
ولا توبَةٌ ولا تكفيرُ
من قوانينها المُداراةُ للظُلْمِ
ومنها التغريبُ والتهجيرُ
ويُقامُ الدستورُ، أضحوكَةَ الساخرِ
منا ويُوأدُ الدستورُ
والحضاراتُ بعضُهنَّ بشيرٌ
يتهادى وبعضُهنَّ نذيرُ
نحنُ أسرى، وحين ضِيمَ حمانا
كادَ يقضي من حُزنِهِ المأسورُ
كلُّ فردٍ من الرعيةِ عبدٌ
ومنَ الحُكمِ كلُّ فردٍ أميرُ
نحنُ مَوتى! وشَرُّ ما ابتدَعَ الطغيانُ
موتى على الدروبِ تسيرُ
نحن موتى! وإن غدونا ورُحْنا
والبيوتُ المُزوقاتُ قُبورُ

---

١ – هيئة الأمم المتحدة المسؤولة عن نكبة فلسطين .

نحن مـوتى. يُسِـــــرُّ جـارٌ لجـار
مســـتريباً: متى يكونُ النشـــورُ
ســألوا عن ضناي، مَـحْضَ تَشَـفٍّ،
هـل يصحُّ المُعـذَّبُ الموتـــورُ
أمِنَ العـدلِ أيهـا الشـاتمُ التـاريخَ
أن تلعَـــنَ العُـصـورَ العُـصـورُ؟
اشـــتراكيَّـةٌ؟! وكَنزٌ من الــدُّرِّ
وزَهْـــوٌ ومنْبَـرٌ وســـرير
اشـتراكيةٌ تعاليمُـهـا: الإثراءُ
والظُّلمُ والخنـا والفـجـورُ
اشـــتراكيةٌ! فـإن مَرَّ طـاغٍ
صفَّ جُندٌ لـه ودوَّى نفـيـرُ
ورقيبٍ على الخيـالِ.. فـهل يَسْـلَمُ
منه المسـموعُ والمنظـورُ؟
عـازِفٍ عـن حقـائقِ الأمرِ لُؤْمـاً
وكَـفـى أن يُلفَّـقَ التـقـريـرُ
فَـيُجـافي أخٌ أخـاهُ وشـقَـى
بالجـواسـيسِ زائـرٌ ومـزُورُ
مِحنـةُ الحـاكمينَ جـهلٌ ودَعْـوى
جـبـنٌ فـاضِحٌ ومـجـدٌ عَـثُـورُ
نهبـوا الشـعبَ، واسـتباحَ حِمى المالِ
جنونُ النعـيـمِ والتبـذيـرُ

كيف يَغْشى الوغى ويظفَرُ فيها
حاكِمٌ مُتْرفٌ وشعبٌ فقيرُ

مزَّقوهُ، ولن يُمزَّقَ، فالشعبُ
عليمٌ بما أرادوا خبيرُ

محنةُ العرْبِ أمَّةٌ لم تُهادنْ
فاتحيها وحاكمٌ مأجورُ

هتكوا حُرمةَ المساجدِ لا جنكيزُ
باراهُمُ ولا تَيْمورُ

مُؤمِنٌ بين آلتينِ من الفولاذِ
دام، ممزَّقٌ، معصورُ

عبرةٌ للطُغاةِ مصرعُ طاغٍ
وانتقامٌ من عادلٍ لا يجُورُ

كلُّ فردِ منهم لِقَتلِ أخيه
يَصْدُرُ الرأيُ منه والتدبيرُ

وغداً يذبحُ الرفيقَ رفيقٌ
منهم والعشيرَ فيهم عشيرُ

ارجعوا للشعوبِ يا حاكميها
لنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ

صارحُوها... فقد تبدَّلت الدنيا
وجدَّت بعدَ الأمورِ أمورُ

لا يقــودُ الشـــــعوبَ ظُـلمٌ وفَـقــرٌ
وســـــبــــابٌ مُكَرَّرٌ مَـســـــعورُ
والإذاعــاتُ! هل تـخلَّعَت الـعَــاهـرُ
أمْ هل تَقَـيَّـــــأ السِـــكِّيـرُ؟!
كـــــلُّ حُكـمٍ له ـ وإن طــــالت
الأيــامُ ـ يَومـــان: أوَّلٌ وأخــيـــــرُ
كلُّ طاغٍ ـ مـهـمـا اسـتبـد ـ ضعـيفٌ
كلُّ شــعب ـ مـهـمــا استكان ـ قــديرُ
وهَـــبَ الله بـعضَ أســــمــائـــــهُ
للشـعـب، فَـهـو الـقـديرُ وهو الغـفـورُ
يشـــــهـدُ الله مــــا بقلبيَ حــقـْـدُ
شفَّ قلـبي كـمــا يشــــفُّ الغــديرُ
وجــراحي ينـطِقْنَ شــــهـدًا وعطـرًا
أدمعي رَحـمـةٌ وشـــــعـري شــعـورُ
يرْشـــف الـنورُ من بيـــــانـي فــإنْ
غَنَّيتُ فـهــو المُدَلَّـــــهُ المخـمــــورُ
ومع الـشـــيبِ والكـهــولـــة قلبي
ـ كـعَـهـودِ الصبـا ـ بَـــــرِيءٌ غـريــرُ
ليَ حُــرِيَّتي وإيمـــانيَ الـســـــمحُ
فـحُلـمي هـــانَ وجــفني قـريــــرُا!
لم أُهـــادْن ظُلمـًـا وتدري الـليــــالي
في غـدٍ أينـــــا هو المدحــــــورُ!

مصرع الشمس

تأبين الملك غازي عام ١٩٣٩

عُرُسٌ في الجنانِ فالحورُ يطفُرْنَ
على مَيْعَةِ الضياءِ البديدِ
سِدْرَةُ المُنتَهى نَعيمٌ وأفياءٌ
وأغرودةٌ على أُملودِ
صاحبَ التاجِ! دمعةٌ من دموعِ
الشامِ ذوبتُ عِطرِها في قصيدي
وأنا الشاعرُ المُدِلُّ على الدنيا
بغيبٍ في حُبِّكُم وشهودِ
ليسَ بين العراقِ والشامِ حَدٌّ
هدمَ اللهُ ما بَنَوا من حدودِ
لا تَسلْني عن الشآم فقد حَزَّ
بجيدِ الشآم عَضُّ الحديدِ
شَقِيَتْ باليهودِ أرضُ فلسطينَ
وضَاقتْ رِحابُها باليهودِ
بِنَفَايا الدنيا، على كل وَجهٍ
منهمُ، سُبَّةُ اللعينِ الطريدِ

بِنْتَ مَـــــروانَ لا تُراعِــــي وخَلِّـي
عنكِ تَـهـويــــلَ عُــدَّةٍ وعَـديـدِ
أنتِ فـي ذمــــــةِ العــــــراقِ وفي
ذمَّــــةِ أمجـادهِ الأُبـــــاةِ الصيـدِ

هذه دجلة*

صُوَرٌ للقديمِ تَعرِضُهـا الدنيا
ضِياءً وروعةً في الجديدِ
هذه دِجلةٌ وهذي البَساتينُ
وشَدْوُ القُمريَّةِ الغرِّيدِ
والأماسيُّ والنخيلُ ومَلاَّحٌ
طَروبُ الحُداءِ حُلْوُ النَشيدِ
والليالي القَمراءُ في النَهْرِ
والأنغامُ أصداءُ زَوْرةٍ وصُدود
والقِيانُ المِلاحُ يخطُرْنَ في
الشطِّ سكارى مُرنَّحاتِ القدودِ
آهَةٌ بعد آهَةٍ من عَريبٍ[1]
تَخْلقُ الظِّلَّ للضُحَى المَكْدودِ
كلما هَلْهَلتْ صَبًا أو حجَازًا
ضَاعَ حُلمُ المُتوَّجِ المَحْسُودِ
وجَوارٍ يمرَحنَ في الزورق الساجي
ويضحكنَ عن نَديٍّ برودِ
رفَّ مجدافُهُ على الماءِ وانْسابَ
بأحلى معاصمٍ وزنودِ

---

* من قصيدة (مصرع الشمس).

١ - المغنية العباسية وقد خصص لها أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه العظيم (الأغانى) صفحات عديدة.

فـانْتَـشَـــى من طُـيـوفِـهـــنَّ وجُنَّتْ
قطـراتٌ عَلـقْـــنَ بيـــن النُهـــودِ
والقُــصـــــورُ البَـيـضـــاءُ والحُلُمُ
اللـذُّ جـــلاَهُ دُخــــانُ نَـدٍّ وعُـــود
حَـمَلَـتْـهُ هفـهـافَـــةُ العِطر نَشْـــوانَ
إلى جَـــنَّةِ الخيـــالِ البَـعيـــدِ

آلام...[1]

في تأبين إبراهيم هنانو

ألفتُ حَـرَّكِ لا شكوى ولا سَـهَـدُ
يا جَمرَةً في حَنَايَا الصَدرِ تتَّقِدُ
ألطَالِعُونَ على الدنيا بنَصرِهم
لولا الفَوَاجعُ هل شَدُّوا وهل نَهَدُوا
أما الشعوبُ وقد ضَجَّت عواصِفُها
فصاحبُ النصر فيها الشاكلُ الحَرِدُ
لا يُبعِدِ الله أحبابًا فُجِعتُ بهم
ومَا غُلاَلَةُ قلبي بعدما بَعُدوا[2]
مَصَارعٌ بعطورِ الحَقِّ زاكيةٌ
كأنما سَكبُوا فيها الذي اعتقدوا
يا خَمرةَ الحُزنِ هَذي الكأسُ مُترَعَةٌ
للشاربين وهذا الشاعرُ الغَرِدُ
يا هُدْنَةً من قِراعِ الدهرِ دامِيَةً
ألا يُهَدهِدُ من آلامِكَ الأبدُ

---

١ – ألقيت هذه القصيدة في حفلة أقامتها الكتلة الوطنية في حلب لذكرى المغفور له هنانو سنة ١٩٤٢ وفي البلاد ثلاثة جيوش محتلة: الإنكليز والأميركان والفرنسيون. والحكم العرفي معلن. وقد أقيمت هذه الحفلة يومئذ لاستئناف النشاط القومي العربي.

٢ – شهداء الثورات السورية المتوالية.

مَنْ كسعدٍ ؟

في رثاء سعد الله الجابرى الزعيم الوطنى السورى الكبير ،
والصديق الحميم للشاعر

سألَ الصُبحُ عن أخيه المُفدَّى
أيهَا الصبحُ لن تُشاهِدَ سَعداَ
حاسَنوا غُرَّةَ الصباح بسعد
فَعلمنيًا أيَّ الصباحَينِ أهْدَى
زَعَمَ الخَصمُ أنه مُستَبدٌّ
حبذا الحُكْمُ عادلًا مُستَبِداًّ
إنَّ شرَّ الأمور ظلمُ الجماهير
وأهونُ بالظُلمِ إن كان فَرْداَ
يا صَفيَّ الأحزانِ تَسقي البَرايا
كأسَها مُرَّةً وتَسقيكَ شهداَ
مَا لأبنائنَا تَجنَّوا علينا
وغَفرنَا ما كان سَهواً وعمداَ
أنكَرُوَنا على المشيب كأنَّا
لم نكنْ قبلَهمْ غَرانيقَ مُرداَ
ضَجَّ سوقُ الرَقيقِ في نُدوَةِ القوم[1]
ونَخَّاسُهُ طغَى واستَبَداَّ
يَعْرِضُونَ الشعوبَ عَرضَ الجَواري
عريَتْ للعيونِ نَحراً ونَهَداَ

١ – يشير إلى جمعية الأمم المتحدة واستبداد الدول القوية فيها بالشعوب الضعيفة.

أينَ أينَ الرعيلُ من أهلِ بدرٍ ؟

في رثاء الزعيم رياض الصلح

أرزُ لُبنـــانَ أيْكَةٌ في ذُرانـــا
والفـــراتـــانِ مَـــاؤنَـــا والـنيلُ
ورَيَاحـينُنَا على تُونـــسَ الخـضـراء
خَـضـــرَاءُ أينَ منـهـــا الـذُّبُولُ
مـا شـكَت جُـرجـهـا على البُـعـد إلاَّ
رَفَّ قلـبَـــي على الجِـراحِ يسـيلُ
أيّ سِـــرٍّ نُريـــدُ في الكـــون
والكونُ مُـعَنّىً بســرِّنا مـشـغـولُ
بَعُـدَ الفـرْقُ بين روحي وجـســمي
جـســدي آثِمٌ وروحيْ بَتُـــولُ
ربِّ! قلبي زَيَّنتُـــهُ لِحُـمَـيَّـــاكَ
فـمرْ تنســكبْ بقلبي الـشَـمُـولُ
يا لِـذَاتِ الشـبـابِ لو ينفعُ الدمْـ
ـعُ جَـزَتْكُمْ مـدامـعي والعَـويـلُ
غُـوطةَ الشـامِ هل شـجَـاكَ بَيَـانٌ
من قَـرِيضـي كـأَنَّـه التَنزِيـلُ

كلُّ مَجـدٍ يَفنَى ويبـقى لِشـعري
شـرفٌ بَاذخٌ ومـجـدٌ أثيـلُ
بُوركتْ نعـمةُ الخَيـالِ ويُرضينـي
خِـداعُ الخـيـالِ والتـعليـلُ

غربة الروح

فى رثاء الفقيد العظيم فارس الخورى

أترِعي الكـأسَ أدمُعـــًا ورحـيــقـــا
حقٌّ بعضِ الـهُـمـومِ أن لا نُفـــيـقَـــا
يا شـــآمـي يا قِــبلَةَ الله لـلدُنـيـــا
ويا راحَـهـــا المُصَـفَّى العـتـيـقَـــا
جلَّ شِـعـري ـ أَقِـيـهِ بالـروحِ من كلِّ
هوانٍ ـ والشِـــعـرُ كـالعِـرْضِ يُوقَى
لي قُـبـورٌ كَنَزْتُ فـيـهـا شـــبابي
وصَـبـوحي عـلى المُنى والغَـبُـوقـا
ونَعَمْ عُـدْتُ (للعــقــيـقِ) ولكـــنْ
فـارَقَ الأهـلُ واللداتُ (العَـقـيـقـــا)
غُـــربتي غُـــربتي علـى النَـأيِ والقُـرب
أَرَاني إلى دُجَـاهـــا مَـسُــــوقَـا
ضَـــاقَ لُبنـــانُ بي وكـان رحيـبـًا
وتنزّى حـقــــداً وكــان رفـيـقـــا
دلَّهـتني (ســـمـراءُ لبنانَ) أطيـابـــًا
وقـــداً مُـهـفـهـفـــًا مَـمشُـــوقَـا
١٩٦٢/١١/١٨

سرُّ الضحى*

ومـــــا حَـاجَـتِي للنُورِ والنُورُ كـــامنٌ
بنفســـــيَ لا ظِلٌّ علـيــــه ولا سِـــترُ
ومـا حاجـتي للأفقِ ضَحـيَـانَ مُشــرِقًـا
ونفسي الضُحَى والأفقُ والشمسُ والبدرُ
ومـا جَـاجَـتــــي للكائنات بأســـــرها
وفي نفســيَ الدنيـا وفي نفـســيَ الدَهرُ
يُريـدونَ أســـــــراري وللّيلِ ســـــرّه
إذا نقّبوا عنـــــه ومـا للضُحى سِــــرٌّ
ونفـــسي لـو انَّ الجَـمـــرَ مَـــسَّ إباءَها
على بِشـــرِها الريَّانِ لاحـترَقَ الجَـمْــــرُ
تَلَفَّتُّ لا شَـــــملي جـمـيعٌ ولا الهـوى
قَريبٌ ولا فَـــــرْعُ الصِبَى عَـبِقٌ نَضْـــرُ

---

* من قصيدة (الشهيد) فى حفلة ذكرى هنانو عام ١٩٤٥

وفاء القبور

إلى ابنتى (جهينة) الوردة النقية الندية التى استأثر بها الله فى ربيع

صباها فهى بين يديه فى جنة الخلود عُطور – ونغم – وجمال

إنّي أُكَرِّمُ شِعْرِي في مَتَارِفِهِ
كَمَا تُكَرَّمُ عندَ المؤْمِنِ السُوَرُ
هديَّةُ اللهِ فيها عِطرُ جنَّتِهِ
والخمرُ واللَّعَسُ النَشوانُ والحَوَرُ
وبُلْبُلُ الدَوْحِ تُرْضِيهِ بأَيْكَتِهِ
نُعْمَى الجَمالِ ويُرْضِي غَيْرَهُ الثَمَرُ
وما تمنَّى خَيالي أنَّني مَلَكٌ
فوقَ المَلائكِ زَهْواً أنَّني بَشَرُ
أُقيمُ ما شِئْتُ في عَدْنٍ وأَتْرُكُها
وأَخْلَعُ الجِسْمَ أحيانًا وأتَّزِرُ

استنبول في ١٢ نيسان ــ إبريل ١٩٥٨

خلعَ الحياةَ على البِلى

في رثاء أحمد شوقي

لا الأمْسُ يَسْـلُبُكَ الخلودَ ولا الغَـدُ
هَيْـهـاتَ أنتَ على الزمـانِ مُـخَلَّدُ
تَتَـجدَّدُ الـدنيـا وقلْبُكَ وَحْـدَهُ
دنْيـا تُعيـدُ شـبابَها وتُـجَـدِّدُ
خَلعَ الحـيـاةَ على البِـلى فكأنَّـهُ
للْبـعْـث منْ قَـبْـلِ الأوانِ يُمَـهِّـدُ
في كُـلِّ قـافيـةٍ حيـاةٌ تُجْـتَلَى
ومُنًى تضـوعُ وزفْـرةٌ تتـردَّدُ
يا شـاعرَ الدنيا لقـدْ أسْـكرتَها
مـاذا تُـغنِّيهـا ومـاذا تُنْشِـدُ
خـفَّتْ بزينَتـهـا إليكَ مَـشُـوقَةً
سَـكرى تَعُبُّ كـؤوسَـها وتُعَـرْبِدُ
وجَلتْ على الشُـعـراء قَـبْلَكَ حُسْنَها
لكنْ أراكَ شَـهـدْتَ مـا لم يَشْـهَـدوا
والشِّـعْـرُ والنَغَمُ الشَـجيُّ ورحـمْةٌ
تَسَـعُ الوجـودَ ونَـقْمـةٌ تتوعَّـدُ

فـاذْهَبْ كـــمـا ذهَبَ الربيعُ عـلى الرُبى
منــــهُ يدٌ وعـلى القـلوبِ لــــــهُ يَدُ
ولكَ الإِمـــــارةُ في البـيــــَانِ يُقـرُّها
أمْـــَسُ الزمـانِ ولا يَـضـيـقُ بهـا الغَـدُ

دموع كعفو الله*

فيا رَبَّ لا راعَ الطفولَةَ رائعٌ
ويا ربَّ لا أَلْوى بِنَعْمائِها كَرْبُ
إذا عَبَراتُ الطِفْلِ مرَّتْ بِمُجْدِبِ
منَ النفسِ رَوَّتْهُ ففارقَهُ الجَدْبُ
دموعٌ كعَفْوِ اللهِ لَو مرَّ بَرْدُها
على الرَمْلةِ الحرَّى لَنَضَّرها العُشْبُ
ويا ربِّ مُرْ تُصْبِحُ نسيمًا مُعَطَّرًا
على كُلِّ مَحْزونٍ زعازِعُها النُكْبُ

* من قصيدة (الذكرى) التي رثا بها ابن عمه الشيخ علي محمد كامل، من الزعماء الوطنيين في محافظة اللاذقية.

للشعر والشمس هذا الكونُ.. *

لا الحِقْدُ خَمْرَةُ أحزاني ولا الحَسَدُ
من جَوهَرِ الله صيغَ الشاعرُ الغَرِدُ
سَقَيْتُ أحزانَ قَلبي من عَقيدته
فأسْكَرَ الحزنُ ما أُغْلِي وأعْتَقِدُ
ظَمِئْتُ والشمسَ مِنْ كِبْرِ ومن أنَف
وَرُحْتُ والشمسَ لا نَعْنُو ولا نَرِدُ
أَعلُّها مِنْ فؤادي بَعْضَ لَوْعَتِه
فرَنَّحَ الشمسَ ما أشكو وما أَجِدُ
للشِعْرِ والشمسِ هذا الكونُ لا عَدَدٌ
يَطْغى على النورِ في الدُنيا ولا عُدَدُ

* من قصيدة (خمرة الأحزان) فى رثاء الشاعر اللبنانى شبلى الملاط.

تعانقتْ مريمٌ فيه وآمنة*

صـانَتْ مُسـوحكُمُ الفُصْحى وكان لهـا
منْكُمْ بمـحْنَتـهـــــا الأرْكَـانُ والعُـمُـدُ
قـرَّتْ بأدْيرةِ الرُهـبـــانِ يَغْـمُـرُهـــــاَ
شــــوقُ البنين وحُبٌّ مُـتْـرفٌ رَغِــدُ
ولِلأذانِ وللـنَّـــــاقــوسِ منْ قـــدَمٍ
عَـهْـدٌ علـىً الحُــبِّ والغُـفـرانِ يَـنْعَـقـدُ
تعــــانَقَتْ مَـــرْيَمٌ فـيــه وآمنَـــــةٌ
وحَنَّ لـلرَشَـــدِ الإيمـانُ والرَشَـــــدُ

* من قصيدة (خمرة الأحزان).

ثُكْلُ الأمومة

إلى روح أخي كامل مروة صاحب جريدة "الحياة"

مــــا لِـلْمَنِيَّـــةِ أدعـوهـــا وتبـتـعـدُ
أمَــرُّ مِنْ كلِ حـــتفٍ بـعضُ مــا أجِـــدُ
ظمـآنُ أشْـــهَـدُ ورْدَ الموتِ عـن كـثبٍ
والواردونَ أحِـبّـــــــــائي ولا أرِدُ
عَلَّلْتُ بالصـبـر أحـزاني فـيـــا لأسَىً
بالجَمْــرِ من نفـحـــاتِ الجَمْـرِ يَـتـرِدُ
أُمَّـــاهُ، دَمْـــعُك تَبكي مِنْ مـواجَـعِـــــه
شُــــمُّ البَـواذخِ والأفــلاكُ ترتَعِـــدُ
ثُكْلُ الأمـومـــــةِ عند الله حُـرْمَـتُــهُ
كـحُـرْمَـــةِ الحقِّ لا سِـــتْـرٌ ولا بُعُـدُ
ثُكْلُ الأمــومــــــةِ حفَّ الأنبيـــاءُ به
يهـدهــدون من الآلامِ واحـتـشـــــدوا

الهانئون بسلمٍ*

خُطُوبُهُمْ لا خُطوبُ الدَهْرِ ضاريةٌ
على العروبةِ إنْ حَلُّوا وإن عَقَدوا
الهانئونَ بِسِلْمٍ لا حُماةَ لَهُ
فداءُ مَنْ زحَموا الجُلَّى ومَنْ نَهَدوا
القُدْسُ مَلْحَمَةٌ ميدانُها ازدَحَمَتْ
به الكُمُاةُ وخَيْلُ الحقِّ تَطَّرِدُ
ورَمْلُ سيناءَ لَحْدٌ هَبَّ مُنْتَفضاً
بِكُلِّ مَنْ سقطوا غَدْراً وما لُحِدُوا

* من قصيدة (ثكل الأمومة).

إيهٍ حكيم الدهر!

قيلت في مهرجان المعري الألفي

الدَهرُ مِلْكُ العبقرية وحدَها
لا مِلْكُ جبارٍ ولا سَفَّاحِ
والكَونُ في أسراره وكُنُوزه
للْفكرِ لا لِوَغىً ولا لِسلاحِ
سُكْرُ العَقيدَة أيْنَ مِنْ آفاقه
سُكْرُ العَيونِ وأينَ سُكْرُ الرَاحِ
لا تَشْكُ مِنْ قصَرِ الحياة فربّما
أَغْنَتْ إشارتُها عن الإفصاحِ
أَعمى تَلَفَّتَ العصورُ فما رأتْ
عندَ الشموسِ كنورِه اللمَّاحِ
نَفَذَتْ بصيرتُهُ لأسْرارِ الدُجى
فتبرجتْ منها بألفِ صبَاحِ
أمُصَوِّرَ الدُنيا جَحيمًا فائراً
يَرْمِي العصورَ بجَمْرِه اللَّفَّاحِ
عَرَّى السَرائرَ والنفوس مُمَزِّقًا
عنهُنَّ كُلَّ غلالَةٍ ووشاحِ
إيهِ رَهينَ المحبسين أَلَمْ يَئنْ
إطلاقُ مأسورٍ وفَكُّ سَراحِ

ظَفِرَتْ برَحْمَتِكَ الحياةُ وصُنْتَها
عنْ كُلِّ ناعِسَةِ الجفونِ رداحِ
أتَضيقُ بالأُنْثى وحُبُّكَ لَمْ يَضِقْ
بالوَحْشِ بينَ سَباسِبٍ وبِطاحِ
يا ظالِمَ التُفَّاحِ في وَجَناتِها
لو ذُقْتَ بعضَ شمائِلِ التُفاحِ
هي صورَةٌ لِلَّهِ جَلَّ جلالُهُ
عَزَّتْ نظائرُها على الألواحِ
مَنَحتْ بقُدْرَتِهِ النعيمَ ولوَّنَتْ
أنوارَهُ جَلَّتْ يَدُ المَنَّاحِ
إيهٍ حكيمَ الدَّهْرِ أيُّ مَليحَةٍ
ضَنَّتْ علَيكَ بِعِطْرِها الفَوَّاحِ
لو أنْصَفْتَ لسَقَتْكَ خَمْرَةَ ريقها
سُكْرَ العقولِ وَفِتْنَةَ الأرواحِ
العَبْقَريَّةُ والجَمالُ تحَدَّرا
منْ نَبْعَةٍ وتَسَلْسَلا مِنْ راحِ
الظَّالمانِ المَالكانِ ونَعْمَةٌ
مَا أسْلَفَا مِنْ زَلَّةٍ وجُناحِ

أطلَّ من حرمِ الرؤيا فغزاني

مـا للخلودِ ومـــا للحُسْـــنِ يَزْعَـمُـهُ
هيْـهــاتَ عُــرِّيَ مِنْ حُسْنٍ وإتْـقـانِ
يُضْـفي الجَمـــالَ على الأيـــامِ مُقْـتَدرٌ
منَ (التـــحَـوُّل) ذُو عِــزٍّ وسُـــــلطانِ
عَنـا لَــهُ الكـــونُ مأخُـوذاً بفـتْنَتـــه
منْ أنْـجُمٍ ومَـكانـــــاتٍ وأزْمـــانِ
وعـاطِفــــاتٍ وأرواحٍ وأخْـيلـــةٍ
تَغْـــزو الوُجـــودَ وآراءٍ وأدْيــــانِ
وربَّمـــا فَـقِهَتْ مِنْ أمـرِهِ عَجَبـــاً
قـبْلَ الهُـداة عـصـا مـوسى بْنِ عِـمْـرانِ
لِيُؤْمِنِ النـــاسُ مـا شـــاؤوا بربِّهِمْ
فَبـالتَّحَـــولِ بَعْـــدَ الله إيْمـاني
تَسْـــمـو إلى أُفْـقِـــهِ القُـدْسَيِّ طاهرةً
طُهْــرَ الدَمــوعِ تسـابيــحي وألْحـاني
كَـفَـرْتُ بالروحِ بعْـــد الـرَيْب آونـــةً
وكَـــانَ زُلْفَى إلى نَـجـواهُ كُـفْـراني
إنَّ الخلـــودَ ومـــا تَروي مَـزاعمُـهُمْ
عنِ السَـــعـادةِ في الأُخْـرى نقـيضـانِ

لا يَخْــدَعُ اللـهُ قومــــًا يُؤمنون به
فَــتلكَ خُــدْعَــةُ إنســـانٍ لإنســانِ
جِنــانُ ربِّكَ فـي سِــــرِّ الخلودِ غَـدَتْ
وكُـــــلٌّ آوٍ إليــهـــــا رازِحٌ وانِ
مَــلَّ المُقـيـمونَ فـيهـــا من هناءَتِهِمْ
كـمـا يَمَلُّ الســقــامَ المُدْنَفُ العَــاني
تمضِي العُـصُــورُ عليْهِمْ وهيَ واحِـدةٌ
اليـومُ كَـالأمْــسِ فـيهـا ضـاحِكٌ هانِي
يا شَــقْوَةَ النفـسِ تخلو بَعْدَ أنْ عَمرَتْ
منْ حَــسْـرَةٍ ولُبـانــاتٍ وأضْغــانِ
أمّا الغَـواني فَصَـخْــرٌ لا يُحَرِّكُـهــا
نجـوى مُــحِبٍّ ولا تَدْليــلُ ولْهــانِ
لا تَعْـرِفُ الحُـبَّ إلاَّ مَـحْضَ تَلْبيــةٍ
لِعَــابرينَ مِنَ الأبْـــرارِ فِـتْيــانِ
جَنَى الخلودُ عليـهـــا فَهْيَ شـــاكِـيَةٌ
إلى الأُنُـوثَـــةِ ذاكَ الخـائنَ الجـاني
ولِلْخلودِ على أهْـلِ الجحيمِ يَـــدٌ
تُجْــزَى مع الدَهْرِ إحْــسانًا بإحْـسانِ
لا يَأْلَمـون ولا تَشْــكو جُـســومُـهُم
مِنَ الـلَظَى فـهـيَ نِيــرانٌ بِنِيــرانِ

طَوَّفْتُ في هذِهِ الدنيــــا على مَـهَـــلِ
طَوافَ أشْــعَثَ مــاضي العَــزْمِ يَـقْظانِ
تُظِلُّني مِـصْــــرُ أحيَانـــــًا وآونَـــــةً
أعَـاقـِرُ الخَـمْــرَ في جنَّـــــاتِ بَغْـدانِ
وقدْ صَحِبْتُ شـعوبَ الأرضِ منْ عرَبٍ
شُــــــمِّ الأنوفَ إلـى رُومٍ وكِلْـــدَانِ
مُفَـتِّشـــًا عنْ عَزاءِ النَفْـــسِ لا لَعِـبي
أدى إليـــــه ولا حِـلْمي وعِــرْفــاني
فَـمــــا رأيْتُ لَـــهُ عَـيْنـــا ولا أثَرًا
ولا أفَـــــــادَ طوافي غـيْـرَ خِـذْلاني
إذا نَدَبْتُ جُـهــودي وهيَ ضائعَـــــةٌ
أطَلَّ مِنْ حَــرَمِ الرُؤْيَـــــا. فَـعَـزَّانِي
آمنتُ بالحبِ مـا شــــاءتْ عـذوبَتُـهُ
آمنتُ بـالحبِ فـهــو الهــادمُ البـــاني

جنان لبنان*

منـــــازلُ الخُلْدِ لا أرْبــاعُ لُبْنــــان
وفــتْنَةُ السَــــحْـر لا آياتُ فنَّــان
جِنانُ لُبنـــانَ حَـسْــبي منْك وارفَـةٌ
فَــيَـهَـا النَدِيّانِ مِنْ رَوْحٍ ورَيْحــانِ
شَــبَّ النَبِيُّـونَ في أفيـائهـا وحَبَتْ
فـيهــا خيـالاتُ إنْجيــلٍ وقُـرآنِ
بَليلـــةٌ بِدُمـوعِ اللهِ مـا وَســـنتْ
إلاَّ وبين خـوافـيهـا حَـبيبــانِ
يَغْفُـو بهــا الفَـجْرُ في أحْضان مُـورقَة
مـديـدَةَ الظلِّ سَـكرى الآسِ والبَــانِ
سَــقَتْـهُ مِنْ خمـرِهـا قَـبْلَ الكَرى عَلَلًا
فـبـعضٍ أحْـلامـه أحْـلامُ سَـــكْرانِ
صَـحِبْتُ فـيكِ شـبـابي والهَـوَى ومُنًى
لُعْسَ الـشـفـاه وظَلًا غَـيْـرَ ضَحْـيانِ
ألَـحَّ بي الـسُّـــقْمُ حــتى لا يُفـارقُني
وراحَ يَنْسِـجُ قـبلَ الشَـيْبِ أكْـفـانِي
يُثـيـرُ بي كُـــلُّ حُـــسْنٍ فـتْنَةً وهَوًى
فـمـا أمُـرُّ بـمـاءٍ غـيْرَ صَـدْيــانِ

* من قصيدة (أطلُّ من حرم الرؤيا فغزاني).

وَيا رُبى الحُسْنِ هلْ مِنْ نفْحَة حَملَتْ
شَذَى النُهودِ لِصَادي القَلْبِ حَرَّانِ
وهَلْ صَبَاكِ نَمُومُ العِطْرِ ناقلَةٌ
بَعْدي أحَاديثَ أذْيالٍ وأرْدانِ
أُعِيذ بالحُبِّ والذِكْرى هَوَى نَفَر
بيضِ الوجُوهِ مِنْ النَعْماءِ غُرَّانِ

ما شأنُ هذا الأشعث الجوّاب

هَلْ عِنْدَ أنْجُمِكَ الضَواحيك ما بي
يا لَيْلَ إشْراكي وصُبْحَ مَتابِي؟
طَهَّرْتُ آثامي البَريئَةَ في لَظَى
قُبَلٍ كأحْلامِ النَعيم عِذابِ
فأَدِرْ عليَّ سُلافَ رِيقكَ واسْقِنّي
واسقِ النديمَ سُلافَةَ الأعْنابِ
وإذا عَتَبْتُ على لَماكَ فربَّما
سَمَحَ الحبيبُ بِرَشْفَةِ الأعْتابِ
وسَّدْتُكَ اليُمْنى لَعَلِّي في غدٍ
أَرِدُ الحِسَابَ ووَجْنتاكَ كِتابِي
ونَعِمْتُ ألْمَحُ في جُفونِكَ رَغْبَةً
خَجْلى صريعَةَ نَشْوةٍ ودُعابِ
لا تَغْفُ تَحْلُمْ بالنجوم فيرتَمي
منْها لرَشْفِ لَماكَ ألْفُ شِهابِ
لا تَغْفُ وأْثَمْ في هَواكَ ولا تَخَفْ
نُسكي أمانُكَ في غَدٍ وثوابِي
هَيْهاتَ وِزْرُكَ لا أنُوءُ بحمله
إنْ صحَّ أمْر قيامةٍ وحِسابِ

يا ربِّ عَـفْـوَكَ قـدْ ثَملْتُ فَـخَلِّني
لِغَـوايَتـي وتَـهَـتُّكـي وشَـرابي
فـإذا الحيـاةُ على جَـلالَـةَ قَـدْرِهـا
داري وهـذا الأُفْـقُ بَعْـضُ رِحـابي
وإذا الكَـواكِبُ مِنْ لِدَاتِ طـفـولَتـي
والكَوْنُ والأَجْـيـالُ مِنْ أَصْحـابي
نَزَلتْ على فَـقْـري وأعْـوَزَهـا القـرَى
هـذا دَمي ولُـبـانَـتي وشـبـابي
ذاكَ البَـيـانُ على مـرارة كـأسـه
سُـكْرُ العـقـولِ وفـتْنَةُ الألبـاب
أفْـضى إلـى الأخـلاقِ وهي مَصـونَةٌ
أتـراهُ يَكْتُمُ سِـرَّهـا ويحُـابي
مـالِـي وللأَخْـلاقِ يَغْـمُـرُ سِـرُّهـا
عَنَتَ الغَـبِـيِّ وخُـدْعَـةَ المُتَغـابي
ألغَـدْرُ في دَاوُدَ[1] بَعْـدَ مشـيـبه
ورعـايَـةُ الأضْـيـافِ مِنْ راحـاب[2]
ظَمْـأَى إلـى القُـبَلِ الأثيـمَـة عَـذْبَـةً
كـالبـابِلِيِّ مَـريـرةً كـالصَّـاب

١ – إشارة إلى ما ذكرته التوراة من إرسال داود أحد قواده للمعركة ليستأثر بامرأته .
٢ – راحاب اسم بغي ورد في التوراة وقد أخفت جاسوسين كانا عندها فلم تبح بأمرهما.

ليلة عريانة*

مَرْحَى لبائعَةِ السُرور ولا انْطَوَتْ
ذكْراك من نَشْوى الدَّلال كَعابِ
أزْرَى بِعِفَّتك الجَمالُ وخَلْفَه
سُكران سُكْرُ هَوىً وسُكْرُ شبابِ
مرْحى وإنْ عَصرَ الشَقاءُ سُلافَةً
من وجْنَتيك أثيمةَ الأكْوابِ
مِحْرابُ حُسْنِك قدْ وَقَفْتُ ببابه
وسَجَدْتُ أعْبُدُ دُمْيَةَ المِحْرابِ
ولَمَحْتُ فيه جَلالَ حُسْنك راقداً
فَوقَ الشِفاهِ اللُّعْسِ والأهدابِ
وسَكِرْتُ مِنْ أحْلامه بِسُلافَةٍ
عَجَبٌ ومِنْ آهاتِه بِمَلابِ
جُبْتُ الظلامَ فلَمْ أدَعْ مِنْ دُجْنَةٍ
إلاّ غدائرَ شَعْرِكِ المُنْجَابِ
ولَقَدْ تَبَيَّنْتُ الهوى لَمْ يُخْفه
في مَخْدَعِ الشَهوات ألفُ نِقابِ
في ذِمَّةِ الذكْرى بَقايَا لَيْلَةٍ
عُرْيانَةٍ مَجْنُونَةِ الآرابِ ...

* من قصيدة (ما شأن هذا الأشعث الجواب).

الحقيقة*

وسَخِرتُ بالأوهام عَصرَ شَبيبَتي
وحَسِبْتُ فَيضَ الماءِ لَمعَ سرابِ
فاليَومَ تَخشَعُ للخُرافةِ حكمَتي
ويَطوفُ حولَ قبابِها إعجابي
وأرى به طَيفَ الحقيقَةِ كامناً
خَلفَ الحجابِ ولاتَ حينَ حِجابِ
قَتلَتْ هوايَ وحكمَتي وتجارِبي
فأنا الشَهيدُ وهذه أسلابي
حَسْناءُ تَلتَفِعُ البُرودَ قديمَةً
يا لَيْتَها رَضيَتْ جديدَ إهابي
فاخْشَعْ لحاليَةِ الشَبابِ وربَّما
شَهِدَتْ وكان الدهرُ في الغُيَّابِ
تَفنَى لِتَقْتَبِلَ الحياةَ نَضيرةً
سَمْحاءَ بعدَ تنازُعٍ وغِلابِ
عُبِدَتْ وسُبَّتْ فهيَ منذُ تبَرَّجَتْ
للكَونِ بينَ عِبادةٍ وسِبابِ
مَثَلُ الحقيقةِ كالجَمالِ وربَّما
مَتَّتْ إليهِ بأقرَبِ الأسبابِ

* من قصيدة (ما شأن هذا الأشعث الجواب).

سـبْحـانَ مَنْ نَثَـرَ الحقيـقـةَ حَفْنَـةً
قُـدْسـيَّـةً مِنْ حِكْمَـةٍ وصَـوابِ
تُذري الرِياحُ بهـا مَـدامِعَ رحـمـة
بَيـن الـعَـقـائـد أوْ سـيـاطِ عَـذابِ
فـالمحْ نثيـرَ ضيـائهـا فـيـمـا تَرى
مِنْ دَعْـوةٍ وخُـرافَـةٍ وكـتَـابِ
يا سَـيِّـدَ الصَـرْحِ المُـمَرَّدِ دُونَـهُ
حُجُـبُ المَنونِ وقَـسْـوةُ الحُـجَّـابِ
بَيْتُ الحـقـيـقـةِ طَـافَ فـي أرْكـانـه
ذُلُّ العَـبـيـدِ وعِـزَّةُ الأرْبـابِ
تـتـخَـايَلُ الأسْـرارُ فـيـه وتَخْـتَـفي
مَـعَـهـا طُيـوفُ الـسِـحْرِ والإغْـرابِ
أشْـرِقْ بلألاءِ اليَـقـيـنِ وسِـرِّهِ
فَـالأنبيـاءُ وآلُـهُمْ في البـابِ
عيـسى ورحمتُـهُ وأحـمَـدُ والرؤى
والوَحيُ نـورُ مَـفَـاوزٍ وشِـعـابِ
ورَبيبُ مِـصْـرَ تـطوفُ حـولَ جـمـالـه
رِيَبُ الغَـيَـورِ وخُـدْعَـةُ المُغـتـابِ
وحَـمَلْتُ أسْـمـالي إلَيكَ وشَـافـعي
لِهَـوىَ فـتـاتِكَ غُـرْبَتي وعَـذابي
فـاسْـخَـرْ بإدْلالي عليكَ وقُـلْ لَهـا:
مـا شـأنُ هذا الأشْـعَـثِ الجَـوَّابِ ؟

حيرة النفس

شَـجَاها مِنْ عـهـودِكَ ما شـجـاهَا
وجَـنَّ الليـلُ فـادَّكَـرتْ أسـاهَا
هَفَتْ لِشبابِهـا وصَبَتْ إليـه
ورَقَّ لهـا النَصيحُ فما لحاهَـا
وهيْهـاتَ الشَـبـابُ وأيـنَ منهُ
مُنىً للنفْـسِ تَعثُرُ في وجَاهَـا
كَبـا وركائِبُ الأعـوام فيـه
مِنَ العشـرينَ لم تنقُلْ خُطاهَـا
مُعَذَّبـةٌ إذا لَمَحَتْ جَمَـالاً
هَفَتْ وَجْداً وعاوَدهـا ضَنَاهَـا
هَدَاهَـا اللهُ مِنْ حَيْرى أضاعتْ
لُبانَتَهـا وبارَكَ مَنْ هَدَاهَـا
تُسائِلُ عَنْ أخيـهـا مَنْ تُلاقي
وكُـلُّ أُخَيَّـةٍ وَجَدَتْ أخَاهَـا
أأُخْتَ الدَّوحِ حَسْبُكِ لا تُغَنِّي
فَأُخْتُ السِّرْبِ قدْ فَقَدَتْ طَلاهَا
بَرِئْتُ إلى الحقيقـةِ مِنْ غُـواةٍ
تَفِرُّ مِنَ الصَبَاحِ إلى دُجَاهَـا

تُريدُ رِضَــــاكَ تَقْـيـيداً وأَسْــــراً
وأينَ رضـــاكَ ربِّي منْ رضـاهَـــا
عَـبَـدْتُكَ فـي الجَـمـــــال ولا أُبالي
ضَـلالُ الـنفــسِ ذلـكَ أمْ هُداهَـــا
فـفي نَفْسي جَـحِـيمُكَ مَـنْ سَـيَصْلَى
بهـــا لشـــقـــائه ومَنِ اصْطلاهَـــا
وفي نفْـــسي الســـمـــاءُ وفَـرْقَـداهَا
ومَنْ سَـــمَكَ الســـمـــاءَ ومَـنْ رقـاهَا
وهَـــلْ مِنْ أنَّــــةٍ خـفـيَتْ ودَقَّتْ
أسَـــىً إلاّ وفي نفــسـي صـداهَـــا
فَـيـــا لكَ مِنْ عـمَىً وسَـــلمْت عَـيْنًا
لَوِ اخْـتـــارتْ لما تَركَتْ عــمـاهَـــا
ويا لك حِـــيــرةٌ عــرَضَتْ لمـوسَـــى
فَـضَـــلَّ سَـــبـيلَ غـايَتِهـــا وتاهَـا
أرادَ جَـلاءَهَــــــا نَفَـــــرٌ كـــريمٌ
فـجَلَّـلَهـــا الغُـمـوضُ ومـا جـلاهَا
فـتَـحْتُ ســـــريرَتي صَـفَــحَـات نور
وقَــدْ خَبَّـرَ الصحـيـفَـةَ مَنْ تـلاهَـــا
وزَحْـزَحْتُ الحِــجَـابَ عنِ الخَـفَـايــا
وقُلْنَـــا شَــــقْـــوةٌ بَلَغَتْ مـــداهَـــا

وانجلتْ نفسي في النور

أينَ أمْسي؟ فَرَّ لا يُلوي به
مُجْتَلى بَدْرٍ ولا لألاءُ شَمْسِ
حازَهُ الدهرُ ومرَّتْ فوقَهُ
لُجَجٌ أخْطأها عَدِّي وحَدْسي
قالَ أمْسُ هاتِ عنْ صاحبنا
وابْعَث الذكْرى فطُولُ العَهْدِ يُنْسي
قد تَملَّيْتُ به غضَّ الصِّبَى
زيْر حَسْناءَ وورقاءَ وكأسِ
قال أمسُ وأنا عَهْدي به
نضْوَ أوْرادٍ وتَسْبيحٍ ودَرْسِ
رَضي الصوفَ فما يَعْرفُهُ ...
ناعمُ الخَزِّ ولا غالي الدِّمَقْسِ
أين ما تَروونَ عَنْ صاحبنا
عَري الحَقُّ فلا عُذْرَ للُبْسِ
أتَقيٌّ وَهوَ يَنْفي كُلَّ ما
لمْ يؤيَّدْ بيَقينٍ أوْ بحِسِّ
أخَليعٌ والضنَى يُسْلمُهُ
في ربيعِ العُمْرِ منْ بُرْءٍ لنُكْسِ

هوَ ـ يَعــفُـــو الـلهُ عنْ آثامـــــه ـ
سَـــاخَـــرٌ صُـوَرَّ مِـنْ سُـقْـمٍ ويأسِ
مَـزَّقَ الحَــقُّ حِـجـابـًــا لـلدُّجَى
وانْجَلَـتْ نَفْــســـيَ في الـنورِ لِنَفْـــسي

فلسفة الحقيقة

أَهُنَيْهَةً قَطَعَ الضُّحَى أَمْ جيلا
يومَ العُفَاة لقدْ خُلقْتَ طويلا
ما ضَرَّ فَجْرَكَ لوْ تلألأَ وانياً
فلعلَّها تغْفُو العيونُ قليلا
إنَّ الذي خَلَقَ الحقيقةَ علْقَماً
خلَقَ المُنى للواردين شَمُولا[1]
تتصارعانِ ولا ترى إحْداهما
ظَفَراً لتَبْسُطَ حُكْمَها وتَطولا
والكَوْنُ بين الضُّرَّتَيْنِ مقَسَّمٌ
فاشْهَدْ قَبيلًا يَسْتَبيحُ قَبيلا
قُلْ لِلحقيقةِ إنْ قَسَوْت فربَّما
فَكَّ الزمانُ أسيرَكِ المَكْبُولا
إنْ تملكي الدنيا وسرَّ كُنوزها
لَمْ تَمْلكي الأحْلامَ والتَّأميلا
أُفُقُ المُنى أحْنى وأرْحَبُ عالَمَاً
وأَحَنُّ أفياءً وأزْينُ سُولا
هَذي الحياةُ عَنَتْ لبأسك رَهْبَةً
فتَسَمَّعي لجباً بها وصَهيلا

---

١ – الشمول : الخمرة.

والعِلْمُ إنْ مَلَكَ القُلوبَ فَسَمِّه
وحْشِيَّةً وادعُ الحضارة غِيلا
عَفَّى على حَرمِ الخيالِ وقُدْسِه
أوَ مَا ترى حَرَمَ الخيالِ أُزِيلا
عَهْدي بهِ والشِّعرُ في أدْواحه
نَدّى القلوبَ أغانيًا وهَديلا
ودُمًى ورَدْنَ على الغديرِ وما اتَّقتْ
حسْناؤهُنَّ الشاعرَ الضِّلِّيلا[2]
وفَتَى[3] قُريْشٍ وهو يَقْتُلُ طَرْفَهُ
لِيَرى الثُّرَيَّا والِهًا مَخبولا
وسُكَيْنَةٌ والشِّعْرُ ضَيْفُ نديِّها
والحُسْنُ يبْعَثُ شَجْوهُ فيقولا
وأبا نُواسٍ في مجالسِ لَهْوه
قَسَمَ الليالي سَكْرةً وذُهولا
وترى ابْنَ بُرْدٍ وهوَ في نَزَواته
ليثًا تحَاماهُ الورى معزولا
زَعَمْته أهْواءُ السياسَة كافرًا
تاللهِ ما بالكُفْرِ راحَ قَتيلا

٢ - امرؤ القيس .
٣ - عمر بن أبي ربيعة .

سَــقْيًا لِنَعْماء الخيــال ولا رأَتْ
عَــيْناي رَبْعــًا مِنْ هَواهُ مَـحــيـــلا
حَـرَمَ الخــيـالِ فِـدى رُؤاكَ حـضـــارةٌ
قـــدْ مَثَّلَتْكَ لِتُــخْطِئَ التَّــمْـثيـــلا
إنّي لألْمـحُ في الغــيـوبِ رســـــالةً
وأرى وراءَ الغَـــيْـبِ مِنْكَ رَســـولا
إنْجــيلَ عــيــسى في الحنانِ وإنْ يكُنْ
في غَـــيْــرِ ذاكَ يُـخـالِفُ الإنجيـــلا
وَبيــــانَ أحْـمَـدَ : قُـوةً وعُـذُوبَــــةً
ونُهًى ورأيًا فـي الحيـاةِ جـمـيـــــلا
عَــفًّى على مَـدَنِيَّــــة صَـخَّـــابَةَ
يَذَرُ الخَليَّ ضَجيجُـهــا مَـشْــغـولا
يُمْنى تُـعِـدُّ لك المتــــاعَ وأُخْـتُـهـــا
تَلِـدُ الشَّـــقـــاءَ وتَـخْلُقُ الـتنْكـيـــلا
هذا كِـتــــابُ الغَـيْبِ فـيــهِ رَحْـمَـةٌ
تَسَـــعُ البـرِيَّةَ مُـتْـرَفــًا ومُـعـيـــلا
غَـسَلَ الوجـودَ مِنَ الضـغـائنِ والهـوى
لِتَحِـــلَّ روحُ اللهِ فـيــــه حُلولا

الدمية المحطمة

أيَا دُمْيَـــةً أَنْشَـــأْتُها وعَبَـدْتُـهــا
كـمـا عَـبَـدَ الغَـاوُونَ مَنْحُـوتَ أحْـجـارِ
جَـمَـعْتُ بهـا الدُّنيـا فكـانَتْ سُلافَـتي
وكـأْسي ونُـدْمـاني وأهْلي وسُـــمَّـارِي
جَـمَالُك مِنْ سِـحْـري وعِطْرُك مِنْ دَمي
وفَـتْنَتُك الكبـرى خَيـالي وأشْـــعـارِي
خَلَقْــتُـك مِنْ أهْواءِ نَفْــســي ونَوَّعَتْ
بك الحُـــسْنَ أهْوائِي وحُـــبّي وأوْطاري
رَدَدْتُك للـطينِ الوَضـــيعِ ومــا حَنَـــا
على رَوْضِك الهـاني هُبـوبي وإعْصـاري
وفـارَقْتُ إذ فـــارَقْـتُك الطينَ وحْـــدَهُ
وعـــادَتْ إلى نَفـسـي عَطوري وأنْوارِي

الكعبة السمراء

نائيَــــةَ القُطــــوف كُــــلُّ نَجْـمَـة
من شَــــفَــتي دانيــةُ القــطــــوفِ
كُــــلُّ لُبــانَــاتي طيــــوفٌ ورُؤىً
كــأنَّهن شَــــطَحــات صُــــوفِي
كَعْبَتي السـمــراءُ قدْ لَقيتُهــا
بيــنَ عَــويــلِ الجِــنِّ والعَــزيفِ
تَبــرَّجَتْ لَــك الشُّــفُــوفُ دُلَّهــا
يــا مَنْ رأى تَبَــرُّجَ الشُّــفــوفِ
ورَنْـــوَةُ الحَـيِيِّ ألفُ قــصَّــة
عنِ الهَــوى وغَـمْــزَةُ العَــفيفِ
شَــرِبْتُ أقــداري في مُـصَفَّى
شَـهْدِك حتى سَـكِرَتْ حتوفِي
والنـــاهِدان وثَبـــا كَــرصَدَ
على الكُنُــوزِ الحــالِمــاتِ يُوفِي
تحالَـفــــا تَصَـوُّنــا وعِـــزَّةً
وامْتَنَــع الحَليـفُ بـالحَلِيـفِ
تَعَطَّــري فهــذه صَبــابَتي
واكْتَحِلي فهـــذه حُــروفِي

١٩٦٢/١٢/٨

العذراء الخائنة

أَحْبَبْتُهَا سَاخِرةً كالرُّؤَى
مُبْهَمَةً غامِضَةً كالظُّنونْ
يا صُورَةً أبْدَعَ تكْوِينَهَا
في مَطْلَعِ الفَجْرِ إلَهُ الفُنُونْ
ونَغْمَةً مِنْ بَعضِ ألْحانِها
هَمْسُ اللَّيالى وارْتعاشُ الغُصونْ
لا تخْدَعِينِي إنَّني عالِمٌ
بما تُبينينَ وما تَكْتُمين
أرى على خَدَّيْكِ فيما أرَى
بألف لَوْن قُبَلَ العاشِقينْ
مِنْ قُبْلَةٍ خائنةٍ مُرَّةٍ
وقُبْلَةٍ وادِعَةٍ في الجَبينْ
وقُبْلَةٍ حمراءَ مِثل اللَّظَى
وقُبْلَةٍ بيْضاءَ مِثل اليَقينْ

فطالَ عليكَ الليلُ

أُحِـبُّك عَنْ يأسٍ وما حُبُّ آمـلٍ
بأَقْـرَبَ في نَجْواهُ مِنْ حُبِّ يائِسِ
لقدْ خُنْتِ حتى لا يغارُ أَخو هوًى
أحَبَّك مِنْ وَجْدٍ طريفٍ مُلابِسِ
ففي كُلِّ غَضٍّ منكِ آثارُ قاطفٍ
وفي كُلِّ بَضٍّ منكِ آثارُ لامسِ
فطالَ عليكِ الليلُ تأوي مع الدُّجى
بجَفْنَيْكِ أشْباحُ الرؤى والهَواجسِ

شــــقــــراء

هَــــدْهِــــدْ همــومَــــكَ عنْــدي
علَى حَـيَـــــائِي وصَــــدِّي
حُــــورُ النَّعــيـــم تَمَنَّــــتْ
نُعْــمَــى هـــــوايَ ووَجْــــدِي
هَــــلْ عنْدَهُـــــنَّ رَحـيـقــــي
وهَــــلْ لديهـــــنَّ شَــهْــدِي
يا ســــاكِبَ الشِّــــعْـرِ خَـمْـراً
مَنْ شِـــــعْـــرِ ربِّــــك خَــدِّي
ومِنْ مـعــانِيــــه عِطْــــري
ومِــــنْ قــوافِـيــــــه وَرْدِي
تأَنَّــــقَ اللّـــــهُ دَهْــــــراً
يُعِيــــدُ فِيَّ ويُبْــــدِي
حــتى جَــــلانِي شِــــعْـراً
يا حَسْــــرَةَ الشِّــــعْـرِ بَعْـدِي
خــيـالُـــــهُ الـسَّــمْحُ نَــدَّى
ثَغْـــــري ونَمْنَــم عِــقْــدِي
وقَلْبُــــــهُ كــــان كَـأْســي
وجَــفْنُـــــهُ كـــان مَــهْــدِي

والأنجُمُ الزُّهْرُ حَوْلي
دُمًى لِلَهْوِي وَعَدِّي
فغارَتِ الحُورُ مِنِّي
وكُلُّ زُهْوٍ ومَجْدِ
وهَبَّ في رَوْضِ عَدْنٍ
عَلَيَّ عاصِفُ حِقْدِ
فكانَ للّهِ حَكْمٌ
لِشَقْوَتي بَلْ لِسَعْدي
أنا الربيعُ المُنَدَّى
قارُورَةُ العِطْرِ نَهدي
يَهيمُ حُسْني بحُسْني
ويجْتَلي ويُفَدِّي
وجُنَّ ثَغْري بريقي
وحَنَّ جِيدي لزَنْدِي
وكُلُّ وَشْيٍ حَرِيرٍ
يَوَدُّ لَوْ لَفَّ قَدِّي
وكُلُّ عِطْرٍ تَشَهَّى
أنْ أسفَحَ العِطْرَ وحْدِي
شَقراءُ تَحْلُمُ شَمْسُ الـ
ـضُّحَى بِخَدِّي وبُرْدي

رَفَّتْ خُصَيْلاتُ شَعْري
بأشْقرِ النورِ جَعْدِ
يا شاكِيًا زُورَ وَعدي
أحْلى مِنَ الوَصْلِ وَعْدي
هَيامُنا يا حَبيبي
طُيُوبُ خَمْرٍ ونَدٌّ
أريدُ طَيفًا لِجفْني
أريدُ حُلْمًا لِسُهْدي
كُلُّ المُحبِّينَ مُلْكي
وأنْتَ وخَدُّكَ نِدِّي
شَقْراءُ يا لَوْنَ حُسْنٍ
مُحَبَّبٍ مُسْتَبِدٍّ
لا وَسْمُ لَيْلايَ فيه
ولا مَلامِحُ هِنْدِ
ولا اسْمِرارُ الغَرِيرات
بالعَقيقِ ونَجْدِ
ظمآنُ أَنْشُدُ وِرْدًا
وعِنْدَ عَيْنَيْكِ وِرْدي
يا سَكْرةً بَعْدَ صَحْوي
وفِتْنَةً بَعْدَ رُشْدي

بَيْنِــــي وبيْنَـــــك حَــــرْبٌ
وهَـــــــوْلُ أَخْــــــــذٍ ورَدٍّ
صـــــراعُ روحَـيْــــنِ فيــــه
عَنْــــفُ العَـــــدُوِّ الألَـــــدِّ
الحبُّ لا حُكْـــــمُ شُـــــورى
لَكـنَّـــــــهُ حُكْـــــمُ فَــــرْدِ
فَهـيِّئـــي فِـتْنَـــــةَ الحُسْـــــنِ
كُلَّهَــــــا واسْـــــتَعِـدِّي

جنيف (١٩٥٤/٥/١٢)

المعبد المسحور

يا حَبيبي دَعْني أُقَبِّلُ خَدَّيْكَ
وأَشْتَفُّ ثَغْرَكَ اللُؤْلُؤِيَّا
وَتَبَذَّلْ للْحُبِّ سُكْرًا وعُرْيًا
جَسَدًا فاتنا وروحًا غَوِيَّا
الهَوَى جَنَّةٌ بِقَلْبِي والشَهْوَةُ
نارٌ حمراءُ في شَفَتَيَّا
طافَ بي طائفٌ منَ المَعْبَدِ المَسْحور
يَدعو فقالَتِ النفسُ هَيَّا
مَعْبَدٌ للهَوى الأثيم بَنَيْنَا
الفَجْرَ فيهِ والمشْرِقَ الذَّهَبِيَّا
حالِمٌ فالزمانُ يَرْقُبُ أَمْري
والمُنَى الحالياتُ طَوْعُ يَدَيَّا
صَوَّرَتْ قُدْرَةُ الخيالِ مِنَ العَسْجَد
والنورِ كأسِيَ الخَزَفِيَّا
رُبَّ حُلْمٍ تَناقَلَتْهُ اللَّيالي
والخَيالاتُ فاسْتَحالَ نَبِيَّا

الحب والله

تَأَنَّقَ الدَّوْحُ يُرْضِي بُلْبُلاً غَرِدا
مِنْ جَنَّةِ الله قَلْبَانَا جَناحَاهُ
يَطيرُ ما انْسَجَما حَتى إِذَا اخْتَلَفا
هَوًى. ولَمْ تُغْنِ عَنْ يُسْرَاهُ يُمْنَاهُ
أَلخَالِقانِ مَعًا فالنَّجْمُ أَيْكُهُمَا
وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهى والحُبُّ: أَشْبَاهُ
أَسْمَى العِبادَةِ رَبٌّ لي يُعَذِّبُني
بِلا رَجَاءٍ وَأَرْضَاهُ وأَهْوَاهُ
تَقَسَّمَ الناسُ دُنْيَاهُمْ وَفِتْنَتَها
وَقَدْ تَفَرَّدَ مَنْ يَهْوَى بِدُنْيَاهُ
ما فارقَ الرِيَّ قلبًا أنت جُذْوَتُهُ
وَلا النَّعيمُ مُحِبًّا أنت بَلْواهُ
غَمَرْتِ قلْبِي بِأَسْرارٍ مُعَطَّرَةٍ
وَالحُبُّ أَمْلَكُهُ للروحِ أَخْفَاهُ
الخَافِقانِ ـ وفَوْقَ العَقْلِ سِرُّهُما
كِلاَهُما للغُيُوب: الحُبُّ واللهُ
كِلاهُما انْسَكَبَتْ فيه سَرائِرُنا
وما شَهِدناهُ لكنَّا عَبدناهُ

حُـمْنا معَ الـعِطرِ ورُّادًا على شَـــفَـةٍ
فلمْ نـغَـــرْ مِنْـــهُ لكنَّـــا أغَـرْنَـــاهُ
تَهَـدَّلَتْ بالجَنَى المَغْـســول واكْـتَنَزَتْ
والثَّـغْـــرُ أَمْلَؤُهُ لـلثَّـغْــرِ أشْـــهـاهُ
نَعُـبُّ منهُ بِـــلا رِفْقٍ ويُظْـمـؤُنَـــا
فَنَحْـنُ أصْـدى إليــه مـا ارْتَشَـــفْنَاهُ
في مُـقْلَتَيكِ ســماواتٌ يُـهَـدْهِدُهَـــا
منْ أَشْـــقَــرِ النورِ أصْـــفـاهُ وأحـــلاهُ
قلبِي ولـلشُّـــقْـرَةِ المَـغْنَاجِ ـ لَهْـفَـتُـــهُ
لَيْـتَ الحَنِيـــنَ الذي أَضْـنَـــاهُ أفْـنَـــاهُ
تُصـفِّـرُ الحُـورُ غـــارًا مِـنْ مـواجـعــه
وتَسْـــتَـعِـيـرُ رؤاهَـــا مِنْ خَطايَـــاهُ
لَمْ تَعْـرِفِ الحُـورُ أشْـهَى منْ سُلافَـتِنَا
رَفَّ الهَـجِيـــرُ نَدًى لَمّا سَـــقَـيْنَاهُ
مُـدَلَّـــهٌ فـيكِ، ما فَـجْـرٌ ونَجْـمَـتُـــهُ !
مُـوَلَّـــهٌ فيكِ، مـا قَـيْـسٌ ولَيْـــلاهُ !
أنتِ السَّـــرابُ عَـــذابٌ وقْـــدُهُ ورَدًى
وتُؤْنِـــسُ العَـيْـــنَ أفْـيـــاءٌ وأَمْـــواهُ

أتسألين عن الخمسين ؟

أَتَسْألينَ عنِ الخَمْسينَ ما فَعَلَتْ ؟
يَبْلَى الشبابُ ولا تَبْلى سجاياهُ
في القلْبِ كَنْزُ شبابٍ لا نفادَ لهُ
يُعطي ويَزْدادُ ما ازْدادَتْ عطاياهُ
فما انْطوى واحدٌ منْ زَهْو صَبْوَته
إلاّ تفَجَّرَ ألْفٌ في حناياهُ
هَلْ في زواياهُ مِنْ راحِ الصِّبا عَبَقٌ
كُلُّ الرَّحيقِ المُنَدَّى في زواياهُ
يبقى الشَّبابُ نَديًا في شمائله
فلمْ يشِبْ قلْبُهُ إنْ شابَ فَوداهُ
تزَيَّنَ الوردُ ألوانًا ليَفْتنَنا
أيَخْلفُ الوَرْدُ أنَّا ما فَتَنَّاهُ
صادي الجَوانِحِ في مَطْلُول أيْكَته
فَما ارتَوى بالنَّدى حتى قَطفْنَاهُ
هذا السُّلافُ أدامَ اللهُ سَكْرَتَهُ
منَ الشفاه البَخيلات اعْتَصَرناه
جَلَّ الذي خَلَقَ الدُّنيا وَزَيَّنَها
بالشِّعْرِ أصْفَى المُصَفَّى منْ مَزاياهُ

نحـــنُ الذينَ اصْطَفَــانا منْ أحــبَّــتــه
فلَـوْ تُــدارُ الـطِّلَـى كُنَّــا نَدامَـــاهُ
وشـرَّفَ الشِّـــعْـرَ لَمّــا صـاغَـهُ تَـرَفًـا
فكنـت نَغْـمَـتَــهُ النَّشْـــوى ومَـعْناهُ
وراح يُنْشِـــدُها عَــصْـمــاءَهُ شَـــفَــةً
ومُـقْلَـــةً وجُنُنَّـــا فـاسْـــتَـعَـدْناهُ
روحي فِـدى وثَنٍ مــا كـانَ أَفْـقَـرنـــا
إليـــه فـي عِــزَّةِ الـنُّعْـمـى وأغنَـــاهُ
إنْ كـــانَ يَذْكُـــرُ أو ينْسَـى فـلا سَـلَمَتْ
عَــيْنـي ولا كـبِـدي إنْ كُـنْتُ أنسَـــاهُ
يا مَنْ سَـقـانَا كـؤوسَ الهَـجْـرِ مُتْـرَعَـةً
بكَـى بســـاطُ الهـــوى لما طويْـنَـــاهُ

اللهب القدسي

طُفولَةُ الروحِ أغلى ما أُدلُّ بِه
والحُبُّ أَعنَفُهُ عِندي وأوفاهُ
قلبي الذي لوَّنَ الدنيا بِجذْوتِه
أحلى مِنَ النور نُعْماه وبُؤسَاهُ
ما الحُسْنُ إلاّ لُبانات مُنَمَّقَةٌ
لكن يُؤَلِّهُهُ أنَّا عَشِقْنَاهُ
آمَنْتُ باللَّهَبِ القُدْسي مُضْرِمِه
أذْكى الأُلوهَةَ فينا حينَ أذْكَاهُ
ألعَبْقريَّاتُ وَهْجٌ مِنْ لوافِحِه
والشَمْسُ مَجْلُوَّةٌ إحْدَى هدايَاهُ
وتائِهين بِهَدْيٍ مِنْ عُقولِهِم
لَوْ يمموا اللَّهبَ القُدْسيَّ ما تَاهُوا
جَاهٌ خَلَقْناهُ مِنْ ألوانِ قُدْرَتِنَا
فكيفَ يكْفُرُ فينا مَنْ خَلَقْنَاهُ
لو رفَّ حُبُّكَ في بَيْداءَ لاهِبَةً
على الظِّماءِ رَحيقًا ما وَرَدْنَاهُ
فيا لَكَنْزٍ شَكَتْ منْهُ جواهِرُه
وضَاعَ عنْ نَفْسِه لمَّا أضَعْنَاهُ
صَحا الفُؤادُ الذي قطَّعْتَهُ مِزَقًا
حَرَّى الجِراحِ ولَمْلَمْنَا بَقَايَاهُ

١٩٥٦/١٢/٨

هواجس

هَواجِســـي فيك إيمَـــانٌ وغَـاليـةٌ
وأَنْجُـــمٌ وفَـراشٌ تَـعْـبُـدُ اللَّـهَـبَـــا
وسَـالفـاتُ رُؤًى حينَ اشْـتَـهَـيْت لنا
في البيدَ خَـيْـمَتَـهـا السَـمـراءَ والكُثُبَـا
هواجسٌ أنت دُنْـيـاهَـــا ومَـعْـدنُهَـــا
فكـيفَ تُـبْـدِعُ إلاّ النـورَ والـطَرَبـــا
النازلاتُ عـلى قلبـــي ونغْـمَـتَـــه
حُـورًا منَ الأُفُقِ القُــدْسِـيِّ لا ريبَـــا
المُتْـرَفَـاتُ وأحْـلاهــــا وأمْلَحُـهـَــا
طَيْفٌ معَ الـفـجْــرِ منْ أهْدَابِك انْسَــربَا
روى لنـــا عنـك مـــا نَدّى سَـــرائـرَنا
منَ المُنى الـسُـمْـرِ إنْ صَـدَقَـا وإن كَـذبَا
تَصَـــوّفَ القلـبُ تذْليـــلًا لَســـاكـنه
فـمـــا شَـكَى عَنَـتَ البَلْوى ولاَ عَـتَـبَـا
وكـيـفَ يُوحِشُ قلبي مِنْ سُــــلافَـتـه
وقـــدْ أدَرْتَ عليـــه الحُـبَّ والأدَبَـــا
إذا تمَنَّـاكِ قلـبٌ لا نُجــــــومَ بـــه
تَمَلْـمَلَ الفَلَـكُ الغَـيْـرانُ واضْطَرَبَـــا

يَرُدُّ حُسْنَكِ أهْواءَ النفوس تُقًى
ويَسْكُبُ الخَيْرَ والأطيابَ والشُهُبَا
كأَنَّهُ الكَعْبَةُ الزَهْراءُ، ما اجتَرَحَتْ
مِنًى الحَجيجِ بها إثْمًا ولا لَعِبَا
غَيْبٌ لِحُبِّكِ مِنْ نُعْمَى اليقينِ به
كأَنَّني كَاشِفٌ عَنْ سِرِّهِ الحُجُبَا
أغْلَيْتُ نُعْمى الهوى عِنْدي ومِحْنَتَهُ
فَحُبُّ ما مَرَّ منه حُبُّ ما عَذُبَا

١٩٥٧/٤/٢٦

ظمأ إلى السراب

سَـــرابٌ أسْــمَــرُ القَــسَــمــات هان
نَــدِيٌّ اللمّــحِ ورْدِيُّ الحَـبـــابِ
يُـــزَوِّقُ لـي الرِمـــالَ جَـنىً وظَـــلًا
ويَغْــمِــزُ بـالكـؤوسِ وبـالشَـــرابِ
وَقَطَّـفَ مـــا يُنَـــوِّرُ مِنْ طُيـــوف
على أجْــفـًــانِ ناهِـــدَةٍ كَـعـــابِ
فـيـــا نُعْـمى الـقلـــوبِ ولا أُداري
ويـــا نُعْـمى العـيـــونِ ولا أُحـابي
ســـرابُكِ رحْـمَـةٌ ومُـنىً حِـســـانٌ
سَـــكَبْنَ طيــوبَهُنَّ على عَــذابي
سَـــقى عَـيْنِي مَـتـارِفَـــهُ وَرَوَّى
ظَـمـــاءَ الـرَمْـلِ بالـنُطَـفِ العِـــذابِ
بَكَـيْتُ مِنَ الـسَـــرابِ فَــحِينَ وَلَّى
وَأوْحَـــدَنـي، بَكَيْتُ على الـسَـــرابِ
وأَشْــقـاني اليَـقـيــنُ فـيـــا حَنيني
إلى الخُـــدَعِ المُـنَـضَّــرَةِ السَـــوابي
مَـغـــانٍ للـسَـــرابِ خَـفـيـنَ إلاّ
طيـــوفَ الجِنِّ فـي الوَهْـــجِ المُــذابِ

سقى اللهُ السَرابَ وفاءَ قلبي
وَعطرَ سريرَتي وَصبَا رَبابِي
ونَضَّرَهُ بأنْدى منْ دموعِي
وَدَلَّلَهُ بأَنْعَمَ مِنْ عِتابِي
بما بَيْنَ الجوانِحِ منْ حنينٍ
مُلِحٍّ في الشهودِ وفي الغِيابِ
بنارِ تَدلُّهي، بِرؤى جنونِي
بإيماني بحُبِّكِ، بارتيابِي
بوَجْهِكِ وهْوَ نورٌ في صلاتي
بهَمْسِكِ وهو وردٌ في كِتابِي
بعِزَّةِ لوْعَتي، بحياءِ حُزْني
بسُكْري عندَ لَمحِكِ واضْطرابِي
بأنداءِ الصَباحِ مُنَمْنَماتٍ
بما سكَبَ الربيعُ على الرَوابِي
سَقى اللهُ السرابَ مُنَىً بروحي
على الحِرمَانِ زاخِرةَ العُبَابِ
وتَلثِمُ ما أُسَبِّحُ مِنْ شِفَاهٍ
وتَرْشُفُ ما أُقَدِّسُ من رُضَابِ
هوايَ سَجِيَّةٌ وشبابُ قلْبٍ
وجَلَّ صِبا القلوبِ عنِ التَصابِي

خَضَبْتُ بلَوْنِ سُمْرَتك المُصَفَّى
حياتي والمُحَبَّبَ مِنْ رِغابِي
ولامكِ عِنْدَنا قومٌ وعابُوا
يجِلُّ النورُ عَنْ لَوْمٍ وعابِ
وأنتِ النورُ في عَيْنِي وقلْبِي
على حالَيْك مِنْ شَهْدٍ وصَابِ
سرَيرتُكِ الضياءُ بلا غُروب
وعَيْناك الغيوبُ بِلا حِجَابِ
وقَفْتُ ببابِ جاهك مُطمَئِنّاً
كأنَّ الدَّهْرَ والدُنيا ببَابِي
١٩٥٦/٣/١٠

السراب المظلم

حَنَا السرابُ على قَلْبي يُخَادعُهُ
بالوَهْمِ منْ نَشْوَةَ السُقْيا ويُغْرِيهِ
فكيفَ رُحْتُ ولَي عِلْمٌ بباطِلَه
أهْوى السَرَابَ وأرْجُوهُ وأُغْليهِ
وَيْحَ السراب على الصَحْراء تُسْلمُهُ
رمَالُهَا السُمْرُ مِنْ تِيهٍ إلى تِيهِ
يُزَوِّرُ الماءَ للسُقيَا ولَهْفَتُهُ
حَرَّى إلى مَنْهَلٍ يَحْنُو فيسْقيهِ
جلا النَميرَ وما ابْتَلَتْ جوانحُهُ
من النَميرِ ولا ابْتَلَّتْ مآقيهِ
أيَّامُهُ خُدَعٌ للرَكْبِ ضَاحكَةٌ
سُخْراً وللْعَدَمِ القاسي لَيَاليهِ
صَرْعاهُ لَوْ عَرَفوا الأسْرارَ ما جَزعوا
مِمَّا يُعانونَ بَلْ مِمّا يُعانيهِ
ألاَ يَمَلُّ السرابُ الغَمْرُ وَحْدتَهُ
ألا يَحِنُّ إلى نُعْمى تُنَدِّيهِ
هَيْمانُ لَهْفانُ لا مأوىً لوَحْشَتِهِ
قلبي الذيَ وَسِعَ الأكْوانَ يؤويهِ

أبكي لـبَلْـواهُ تحْنانـــــًا ومــغْــفــــرَةً
روحُ الأُلُوهَـــــةِ روحي حينَ أبْكيــــهِ
إذا خُـدِعتُ فــقــد جـازَيْتُ خُـدعَـتَـهُ
بـالعُــــذْرِ أبسُـــطُهُ والـذنـبِ أطويـهِ
أدْعـو السـرابَ إلى روحي فـقـدْ حَلَيَتْ
بهـــا اللُبَـانــــاتُ تُرْضـيـهِ وتُغْـويهِ
لَهْـفي عليــهِ أســــيـرًا في يَـدَيْ قَـدَرِ
يُميــتُـهُ كُــلَّ يومٍ ثـــمَّ يُحْـيـيـــــهِ
يغـيضُ قَبْلَ رفـيفِ الجَـفْنِ زاخـــرهُ
أَقَلْبُــهُ جــفَّ أمْ جَــفَّتْ ســــواقِـيــهِ
مـــاءٌ ولا رِيَّ يندى فـي شـــــمـــائله
كـــأنَّهُ القَــــــوْلُ فــاتَتْـهُ مـعــانيــهِ
يُزوِّقُ الحُـــسْــنَ ألوانًا ومـــا عَـصَــفَتْ
بروحِــهِ سَـــوْرَةٌ للحُــسْــــنِ تُصبـيــهِ
هذي مَـراعـيــه عُطْلٌ مِنْ بَشـاشَـتِـهـا
حَـــنَّتْ لشَـــبَّابَةِ الراعي مَـــراعيــهِ
لوْ صَـعَّــدَ القَـصَبُ الوُلْهانُ زَفْـرَتَهُ
لَنَوَّرَتْ بيْـــدُهُ واخْـــضَـــــلَّ واديه
مـا لِـلسـرابِ دَنَا حـتَّى إذا اكْـتَـحَلَتْ
بِســـحْرِ دُنياهُ عَـيْني شَـــطَّ دانيـهِ

أنتِ السرابُ ولكنّي على ظَمَأي
بأَنْهُرِ الخَمْرِ في الفِردوسِ أفْديهِ
مَحَوْتُ مِنْ قلبِي الدنيا فما سَلِمَتْ
إلاّ طيوفُ هَوانا وحْدَهَا فيهِ

النبع المسحور

رشيقةَ الأحزانِ والقدِّ هلْ
يَنْبُتُ في جمْرِ الغَضا غُصْنُ بانْ
نَزَلْتِ قلبي سِدْرَةَ الْمُنْتَهى
ما أرزُ لُبْنانَ وما الغوطتانْ
وبيْننا قُربَى الشَّذَى للشَّذَى
الْحُسْنُ والشِعْرُ رَضيعا لِبانْ
تَرْشُفُ مِنْ نَهْديك إغفاءَتي
كأسَيْنِ قدْ أُتْرِعَتا بنْتَ حانْ
طافَتْ بِكِ الكَأسُ فرنَّحْتَها
وجُنَّ لمّا شَمَّكِ الزَعْفرانْ
نَبْعُ الصِبَا المَسْحورِ[1] يَشْتَفُّهُ
قلبيَ والسَمْراءُ والفَرْقَدانْ
نَشْتَفُّهُ حتى ثُمالاتِهِ
فَنحنُ لا نَفْنَى ويَفْنى الزمانْ
نَشْتَفُّهُ حتى يَعودَ الصبا
واللِّمَّةُ السَوْداءُ والعُنْفُوانْ

١ – إشارة إلى ما ورد في الأساطير عن وجود نبع يكفل للشارب منه خلود الشباب.

والنبـــــعُ والقُـــبَّـــــةُ في هـــدْأَة
يُسْـــرِعُ دهْـــرٌ وهمـا وانيـــانْ
مـا هـزّتِ الدنيـــا أَنَاتَيْـهــمــــا
فَـتُـغْــرِبُ الدُنيـــا ولا يَدْهَشَـــانْ
ولوَّحَتْ مـن بعضِ أفْـيـائنــــــــا
كَـفّـــان بالحِنّـــــاءِ مـخْـضُـوبَتانْ
حَـضَنَتْ في الســـمــراءِ دُنيـا المُنَى
حين التــقـينـــا كـبَّـــرَ العـالَمـــانْ
جُـزْنا حـدودَ الكَوْنِ، لا مَـشْــرقـانْ
في جَلْـــوَةِ الـنـــور، ولا مَـغْـرِبانْ
جُزْنـا حـدودَ الكــونِ، حـتى الـتَـقَى
كـــلُّ مغـيب عِندَنـــا بالعِـيـــانْ
وعــــادَ للأَنْجُــــمِ مــا ضــاعَ مِنْ
أَضْــوائـهـــــا واعْـــتنق الأزْهَـــرانْ
واخـتــصَـر الدنيـا شـــذًا مُـسْــكِرٌ
أو لَهْــفَــــةٌ عــذْراءُ أو قُـبْـلتـــانْ
بحتُ بأسْـــراري فـعُـبُّـوا الشَــذى
فُــضَّـتْ عنِ الراحِ العـــتـيقِ الدنـانْ
مــا غـابَ عن أعْـراســــنا أهْلُنـــا
ألشَـمْـسُ والأنجُــمْ في المهـــرجــانْ

والنـــاسُ لا تعْـــــرِفُ أحـــزانَنـــا
يَـرْثِي لـنا الـشـــــوقُ ويَبْكِي الحَنــانْ
يَرْفَـعُـنـي المـــــوجُ إلى شـــــاهق
وحَــطَّنِي.. لا تهـــــدأ الكفَّــتـــانْ
زَلْزَلـتِ الأمــــــواجُ زِلْـزالَهـــــا
واحْـتَـضَنَتْـهـا دُجْـنَـةٌ منْ دُخـــانْ
قــد رجَّـهـــا الـعـاصفُ حـتى طغَى
لُؤْلُـؤُها طـــوعَ يــدِي والجُــمـــانْ
فـتَّــشْــــتُ عـن خـوفي فلمْ أُلْفـــه
كـــيَـف أَرى الخـــوفَ وأنت الأمــانْ

صوفية*

قربَّنــــا اللهُ فـفَـــوْقَ الزمـــانْ
نحـنُ مـــع الـنـــورِ وفـــوقَ المكانْ
يُضَـــوِّئُ الظُـلْمَــــةَ إيمانُنــــا
ويُسْــــكـرُ الفـجْـرَ رحـيقُ الأذانْ
نحــنُ وقلبـــانـا وأسْـــرارُنا
شـــــوقٌ إلى اللـه وأُغْنيَّـتَــــانْ
أوجُـهُـهـــا أمْ بيتُــــهُ قِبْلَتــي
أسْـــتَـغْـفـرُ اللهُ فلـي قِـبْلَتــان
نريــــدُ جمْـــراً لبَخــور الهـوى
في النـار هـذا الجَـــمْــرُ لا في الجِنانْ
صَـلاتُنا النـــورُ فـمـــنْ وهْجِـهـا
شَــعَّ الضُـحى وأتْلَقَ النيِّـرانْ
مِنْ وِرْدِنـــا الأفلاكُ تسْــبيـحـةٌ
والصُـبْـحُ والنَجْـمةُ تكْبيـرتــانْ
تَغْـمِـزُنـي الشـمسُ عناقَ الهـوى
فلَفَّنـي مِنْ فَـرْعِـهـا خُـصْلَتــانْ
وجـهـي ـ ولمْ تَخْـدعْ أسـاريرُه ـ
والقـلبُ مـرآتـانِ مَـجْلُوَّتـــانْ

* من قصيدة (النبع المسحور).

كتبتُ (بِسْمِ اللهِ) فالطرسُ منْ
عَدَنْ (وَبِسْمِ اللهِ) حُوريَّتانْ
لمْ يَعنِني عُسْرٌ ولا شَدَّةٌ
اللهُ والسمراءُ لِيْ المُسْتَعانْ
عَرَّيْتُ فَقْري عندَ بابَيْهما
وتعْذُبُ الشَكْوى ويَحْلو الهَوانْ
١٩٦٢/١٢/١٢

جسد*

بُرْدُكِ فوقَ الخَصْرِ جارُ الرؤى
فخَلْفَهُ تَطفِرُ جِنِّيَّتَانْ
شَيْطَانتانِ اصْطَفَتا جَنَّةً
قدْ تؤْنسُ الجنَّةَ شَيْطانتَانْ
دارَتْ على الظمأى حُمَيَّاهُما
فاللَّهْوُ في الجنَّةِ طَلْقُ العِنَانْ
يُدْنِيهِمَا الشوقُ ولَمْ تدنُوَا
فهَلْ هُما نَهدانِ أمْ نَجْمَتانْ
تموجُ ألحانُ الصِبَا فيهِما
كأنّما نَهْدَاكِ أُغْرودَتانْ
عُشّانِ لا للطَّيرِ بلٍ للهوى
عشّان، بَلْ للمِسْكِ قارُورتَانْ
عَيْناكِ بَحْرٌ حينَ أغفَى انْحنَتْ
فلمْلَمَتْ أحلامُهُ الضفَّتانْ
تغفُو بعيْنيْكِ طيوفُ المُنى
عيْناكِ للأشواقِ أرْجُوحتَانْ
تضْحَكُ عيناكِ وإنْ جَدَّتا
لا سِحْرَ في عَيْنَيْنِ لا تَضْحكانْ

---

* من قصيدة (النبع المسحور).

تَنْطِـــقُ عَيـنـــاكِ ولمْ تنْطِقي
وقَـــدْ تُطيــلانِ وقـــد تُوجِــزانْ

ولمْ تَضـيـقـا بمعــاني الهــوى
ألا تَلومــانِ ألا تَعْـتـَبـَـانْ

قلبي وقرطــاكِ حليفَـا ضَنًى
ألم يئِــنْ أنْ يَتْـعَبَ الخـافـقـانْ

وخـصْلتَانِ ارْتاحتـا في يــدي
من الدُجى المخُمـورِ مسْـكُوبَتـانْ

شــذاهُمـا باقٍ وإنْ غـابَتــا
كـأنما فَـرْعــاكِ رَيْحـانتَـانْ

تغـامـزينَ البَــدْرَ في مَـوْعـد
فَـغَـرْتٌ لّمـا التَـقَـتِ الغَـمْـزتـانْ

قـدْ باحَ جَـفْنـاكِ بِسـرِّ الـدُجَى
جَـفْناكِ مِنْ سِـرِّ الدُجَى مُـتْـرعَـانْ

أيها المعرض عني

أيهــــا المُعْــــرِضُ عنّي مــــا الذي رابَــــكَ منّي
أنتَ حلْــــوٌ في الـرضَى السَّــمْحِ وحَلْــــوٌ في التَجَـنّي
دعْ يَقينــي ـ وهــــوَ الجمــــر ـ إلى أفيــــاء ظَنّــي
لي كَنــــوزُ الحُبِّ، يَسْــتَغْني بهــــا قَلْبيَ ويُغْني
والمُنى ضــــاعَتْ فَهَبْني منــــكَ نَعْمَــــاءَ التَمنّي
تَعْــــدِلُ الدنيــــا طَيــوفٌ عَلقَتْ منــــكَ بجَفْنــي
وأنــــا البُلْبَــــلُ في الأيْك وفي الأسْــــرِ يُغَنّي
تَــرَفُ الإحْســــانِ أنْ أُضْفي على دُنيــــايَ حُسْــني
قــدْ جَــلاني اللّهُ مِنْ نُعْمــــاهُ إشْــــراقَةَ يُمنِ
أنــــا والأنْجُــــمُ أغْفَيْنــــا على مَهْــــدٍ وحِضْنِ
وابْتَــدعنــــا ألفَ دنيــــا وخَلَقْنــــا ألفَ فَنِّ
أنــــا والأنجُــــمُ لا نَفْنى على الدهــــرِ... ونُفْني
أنــــا إنْ أدنُ منَ اللّــــه فــإنَّ الشــــوقَ يُــدْني
ناعِــــمُ النــــورِ نمــــاني والأعــاصــــيرُ نَمَتْني
يَظْمَــأُ العَقْــــلُ فأسْــقي العَقْــــلَ أُسْــطورةَ جِنِّ
لم يَضِقْ حُبّي بمــــا ألقــــاهُ من حِقْــــدٍ وغَبْنِ
أُنْــزِلُ الآثــــامَ أضْيــــافًا على جَنَّــةِ عَدْني

خالقة

مِنْ نُغْـمَيـاتِكِ لي أَلْـفٌ مُنَوَّعَـــة
وكُـلُّ واحــدةٍ دنيـا مِنَ النــورِ
رَفَعَتنِي بجنــاحَي قُـدْرَةٍ وهوىً
لعـالَمٍ مِنْ رُؤَى عَينيكِ مَسْـحورُ
تعُبُّ مِـن حُسْنِهِ عَيْني فـإنْ سَكِرَتْ
أغـفتْ عـلى سُنْدُسيٍّ مِنْ أسـاطيرِ
أخـادِعُ النومَ إشـفـاقًـا على حُلُمٍ
حـانٍ على الشَّـفَةِ اللمياءِ مخمورِ
وزارَ طيـفُكِ أجْـفـاني فـعَطَّـرها
يا للطيـوفِ الغَـريراتِ المَعاطيرِ
كـأنَّ هَمْـسَـكِ في رِيَّاهُ وشَوشَـةٌ
دارَ النسيمُ بهـا بَيْنَ الأزاهيـرِ
تنَدَى البراءَةُ فيـه فهـو مُنْسكِبٌ
مِنَ لغـوِ طفلٍ ومِنْ تغـريدِ عصـفُورِ
رشَـفتُ صـوتَكِ في قلبي مُعَتَّـقَـةً
لمْ تُعْتَصـرْ وَضيـاءً غيرَ منظُـورِ
خَلَقْتِني مِنْ صبابـاتٍ مُدلَّهـة
ظَمْـأى الحَنينِ إلى دَلٍّ وتَغْـريـرِ

أَلِفْتُ نفسي على ما صُغْت جوهرَها
يا غُرْبَتي عند تحْويري وتغييري !
يا طفلةَ الروح: حبّاتُ القلوب فدى
ذنْبٍ لَحُسْنِكِ عند اللهِ مغْفُورِ
يا نجمةً تختفي حينًا وتُشْرقُ لي
حينًا أفانينَ تعريفٍ وتنكيرِ
لقد هَجَرْتِ أخاكِ الفَجْرَ وانْتَبَهتْ
شمسُ الصباحِ على أنّاتِ مُهْجورِ
منْ موطِنِ النورِ هذا الحُسْنُ أعْرِفُهُ
حُلوَ الشمائِلِ قُدسيَّ الأساريرِ
عندي كنوزُ حَنانٍ لا نفادَ لها
أنْهَبْتُها كلَّ مظلومٍ ومَقْهُورِ

سيذكرني

سـيذكـرُني بعـدَ الفـراقِ أحـبتـي
ويبـقى من المرءِ الأحـاديثُ والـذكْـرُ
ورودُ الـربى بعـدَ الربيعِ بـعيـدةٌ
ويُدنيـكَ منهـا في قـواريـرِهِ الـعطرُ
١٩٧٨

البواكير

(من الديوان الأول ١٩٢٥)

الشاعر والبؤس

خُلِقَ الشاعرُ والبؤسُ معًا
فهما خلاّنِ لم يفترقا

* * *

أنا في الكونِ شقيٌّ حائرٌ
لا أرى نوراً ولا أُهْدى سبيلا
أنا طيرٌ لم يغردْ فاسمعوا
بالدجى منه نواحًا وعويلا
أنا إنسانٌ غريبٌ أمرُهُ
شربَ السمَّ وعافَ السلسبيلا
أنا روحٌ حرةٌ طائرةٌ
رضيتْ بينَ الدراريِّ مقيلا

* * *

أنْشقي أزهارَ شعري غضةً
إنني ألقيتُها بين يديكِ
حرتُ في الحبِ إلى أنْ لاحَ لي
سرهُ محتجبًا في ناظريكِ
هذه الموجةُ فرتْ بعدما
قبّلَتْ بالسرِ إحدى قدميكِ

* * *

إنّ في نهـــديكِ طيـبــًا عــبـقـــًا
أنْشـــقي الـشــاعـــرَ هذا العــبــقــا
واذكـــري الشــــاعـرَ والـبـؤسَ مــعـًا
فــهــمـــــا خـــــلانِ لم يفــتـرقــا
١٩٢١

حياةُ أسيرِ القيدِ لفظٌ بلا معنى

أَتُعْنى وما أجدى الحسامُ ولا أَغْنى
قواف من الأشعارِ تبقى ولا تفنى
أدرتُ على الأسماعِ منْها سلاَفةً
وأرضيتُ فيها اللهَ والعربَ والفنّا
سأبعثُ من شعري جياداً مغيرةً
عليها كماةٌ تُحْسِنُ الضربَ والطعنا
هل الشعرُ إلا بسمةٌ تمنحُ الفتى
هناءَ المنى أو دمعةٌ تبعثُ الحزنا
يظنونَ أنّ الشعرَ وزنٌ وطالما
قرأتُ من الأشعارِ ما خلفَ الوزنا
ومن الشعرِ ـ أصفى الشعرِ ـ بيتٌ منمنمٌ
تسيرُ الصَبَا فيه لتنشدَهُ الغصنا
ومن الشعرِ ـ أحلى الشعرِ ـ ثغرٌ مُقَبَّلٌ
رشفتُ به السلوى ولم أَحْرِ ما المنّا
وفي عينِ سلمى قد تلوتُ قصيدةً
من الشعرِ لم تتركْ لضرّاتها حُسْنا
وللشعرِ آيٌ في النهود قرأْتُها
وفيَ الشفةِ اللمياءِ والمقلةِ الوسْنا
نأيتُ عن الفيحاءِ ـ لا عن ملالة ـ
وحيداً وَدمعي يومَ فرقتِها مثنى

فللّـهِ مَغْنى الغـوطتين ولا سَــــقَتْ
على البُـعـْـدِ إلا أدمـعي ذلك المـغنى
فـيــا واردي مــاءَ الشـــآم رَوِيتُــمُ
فللّـــــه مــا أصفـى وللّـهِ مــا أهنى
ويا ناظـــري غـيدَ الشـــآم نَعِمْتُمُ
فللّـــــه مــا أبهـى وللّـهِ مــا أســـنى
يريدونَ هــــذا البـعدَ بيني وبينكـــم
فـلا نَـعـمـوا بــالاً ولا صَـحِبــوا يُمْنَا
هُـــمُ حجبــوا عنــا نســــيمَ حماكُمُ
وهــــمْ نقـلوا زورَ الحـــديثِ لكمْ عـنا
لئن خــــانَ عهدَ الغـوطتين عـصــابةٌ
رأوا بَيْـعَهـــمْ ربحـــًا وألـفيتُـهُ غَـبنـا
فـفي الجبـــلِ النائي لـعصبــــة جلّق
من القَومِ خُدْنٌ لم يخـنْ في الهوى خِدْنا
أديري عليَّ الكـأس صــــرفًــا وعلِّلي
فـتـاكَ فـقـــد أفنـى الهـوى منه مـا أفنى
وغنـي على لحـــنِ الشــــبابِ فَإنني
لأعَـشـقُ هذا الشـغــرَ والنايَ واللـحنا
لئـــن أُطفِـئتْ يا ميُّ نيـرانُ يعــــرب
هوانًا، فــإنَّا ســـوفَ نـضرمُـهــا إنّــا
١٩٢١

ماك سويني

ماك سويني محافظ مدينة كورك الأيرلندية ، اعتقله الإنكليز فاضرب
عن الطعام احتجاجًا على طغيانهم حتى مات

أحـــقًّـــا مـــا روتْ عنك الرواةُ
تُـــرى أم في حـــديثِـهمُ هـنــاتُ
غلبْتَ المـــوتَ فـــيـــه وذاكَ أمـــرٌ
ســـتـكبُـــرهُ القـــرونُ الآتيـاتُ
بســـطـتَ يـديكَ بســطةَ أريـحـيٍّ
فكـــانـتْ من عطـايـاكَ الحـيـــاةُ

١٩٢١

أي أمر ساءها

إني استعرتُ من الكواكبِ في الدجى لألاءهـا
ومن الغزالة وهي تركعُ في السماء ضياءهـا
ومن الحمائم في الغصونِ نواحَها وغناءهـا
وأخذتُ من نُجْلِ العيون فتورَها وصفاءهـا
ومن الخمائلِ حين باكرَها الحيا صهباءهـا
وسرقتُ من لَعَسِ الشفاه على الهوى أنداءهـا
ومن الورود عبيرَها ومنَ العقود سناءهـا
لأصوغَ منها حليةً وقَفتْ عليك رُواءهـا

* * *

واحسرتاه فإنني
لم أستطعْ إرضاءَهـا

* * *

أعلمتِ أني شاعرٌ
حرُّ البيانِ طليقُهُ
هذي قلائدُهُ وذا
ياقوتُهُ وعقيقُهُ
فتقبليها واسمعي
شعرًا يُدارُ رحيقُهُ

مىّ فى وطنها

عن زيارة مىّ زيادة إلى الأرز وبعلبك ودمشق

يـــــا أرزُ لبنــــــانَ وقـــد أقــبلتْ
ميٌّ وســــــربُ الغـــانيــــاتِ المِـــلاحْ
أمـا قــرأتَ الحــــــبَّ في ســــــورة
حطتْ عـلىً تلك الوجـــوهِ الصِـبَـاحْ

* * *

يا بـــــــردى الشـــــامِ وقـــد أقــبلتْ
ميٌّ الفـــتـــــاةُ الغــــادةُ الشـــاعـــرةْ
لا تنكرِ الشــــوقَ فـقـــــد صـفـقتْ
من وجــــــدِهـا أمــواهُـك الطــاهرةْ

* * *

يـــــا بعلـبكٌّ ابتــســــــمي إنـهـــــا
ميٌّ وســــــربُ الغـــانيـــــاتِ الـدمى
واســــتـقــبلي الـوحيَ فـوحـيُ النُّهى
ســـلّمَ في الســـــربِ الذي سـلّـمـا

* * *

يــــا ميُّ والأرزاقُ مقـــــــــومةٌ
سبحانَ من قسمَها في الأنامْ
من مصـــــرَ لبّيتِ نداءَ الهوى
فزرتِ لبنان وزرتِ الشآمْ
قبرُ التوخي[1] الطهورُ الثرى
ما ضرَّهُ لو حييتِهِ بالسلامْ
ما أحوجَ القبرَ إلى دمعة
من جفنِ ميٍّ لا جفونِ الغَمامْ
فابكي على القبرِ الذي ضيّعتْ
أمجادَهُ الفرقةُ والانقسامْ

١٩٢١

١ – الأمير التنوخى : أمير اللاذقية الذى رثاه المتنبى .

وذرني حتى أحيي الصباحا

شبحَ الموتِ: ما يخيفُ البرايا
من حتوفٍ تعانقُ الأرواحا؟
ذاكَ مصباحُ صبوتي وشبابي
فتعجّلْ وأطفئ المصباحا

١٩٢١

يا شاعرَ التاج

وجهها إلى جميل صدقي الزهاوي في زيارته لدمشق ١٩٢٢

يا شـــاعــــرَ التـــــاج المضيءِ
على جـبـيــــنٍ أغــرّ فــاتـــحْ
طـيبُ الـعـــــــراق وإنـــــــه
للـمـــســـك من برديكَ فــــائـــحْ
نُحْ مــا تشــــاءُ على الـعــراق فــإنـنَي بالشـــامِ نائـــحْ
روِيَتْ بـأكنــــــــاف العـرَاق
وَجلّقٌ ظمَــأى الصـــحــاصـــح
أهــــوى الـعــــراقَ وإنْ تـكــنْ
طـاحتْ بســـؤدده الطوائـــحْ
وأحــــبُ جنـــاتِ الـعـــراق
وطيــبُـهَــا غـــادٍ ورائـــحْ
وعــيــــونُ آرام الفــــرات
علـى شـــواطـئـه ســوارحْ
مـرضى صـحائــحُ والقريضُ صـنيعــةُ المرضى الصَحائـــح
حـدّثْ فـقـد طابَ الحـديث ونـامَ عن نجــواكَ كـاشـــحْ
ومـســيطرٌ ينهى ويأمــرُ في الجـزيــرةِ بـاســمِ ناصــحْ
باســمِ الحضـارة جاءَ يزرعُ ما يشـَـاءُ من الفضائـــحْ

لا تبطــرِ الأمـــمُ القـويـــةُ فـالعــــواقبُ بالـفـواتـــحْ
وهـو الـزمـــانُ ســـوانـــحٌ
تمضي فــتــخـلفُـهــا بـــوارحْ
ولـربمـــا شَـــمـسَ الـذلـــولُ
فـــراحَ يأرنُ وهـــو جـــامـــحْ

نغمات عودى

نغــمــاتُ عــودي لا تُمَــلُّ لأنهــــا
شــعــرٌ يفــيضُ عــواطفًــا وشــعــورا
نغــمــاتُ عــودي لا تُمَــلُّ لأنهــــا
لـغــةُ الملائكِ إذ تـنـاجـي الحُــــورْا

١٩٢١

لبنان والغوطتان

في تكريم شاعر القطرين خليل مطران – ١٩٢٢

لبنانُ والغوطةُ الخضراء ضمّهما
ما شئتَ من أدبٍ عالٍ ومن نسبِ
ما في اتحادهما تالله من عجبٍ
هذا الفراقُ لعمري منتهى العجبِ
للخُلْفِ في الناسِ أنواعٌ وأغربُها
خُلْفُ الشقيقين من قومي بلا سببِ
كلُّ الربوعِ ربوعِ العربِ لي وطنٌ
ما بين مبتعدٍ منها ومقتربِ
غنيتُ قوميَ بالأشعار أطربهم
لا يسمعِ القومُ شدوَ الشاعرِ الطربِ
وأحزنُ الشعرِ بيتٌ راح ينشده
دمعٌ تحدّرَ من أجفانِ مكتئبِ
خيرُ القصائد ما أوحته عاطفةٌ
فسار في كل دنيا غيرِ مغتربِ
وللطبيعةِ شعرٌ راحَ يسكرني
فهل جرتْ في قوافيه ابنةُ العنبِ
قرأتُهُ في النجومِ الزهرِ عن كثبِ
وفي صفاءِ العيونِ النجلِ عن كثبِ
لأرحلنَّ فلي في الأرضِ متسعٌ
إن ضاق بي صدرُ هذا الموطنِ الرحبِ

نشوة اليأس

شـــاعرَ الحزن أينَ من ســـحرِهِ شـــاعرُ الهنـــاءْ
إن لليأسِ نشـــوةً ضلَّ عن مثلِها الرجـــاءْ

* *

مـــا أنا الشـــاعـــر الذي
وشـــيُـــه بســـمـــةُ الربيعْ
شـــاعـــراً كنتُ عندمـــا
كـــان في مـــقلتـــيه دمـــوعْ

١٩٢١

الروح الثائرة

أملّتْ ضجيجَ الحياة ففرّتْ
تريدُ الحياةَ بظلِ السكونْ
فتذكُرُ عالمَ قدسٍ نَمَتْ
بهِ حرةً بينَ حورٍ وعينْ
هيولى تفيضُ ضياءً مُبينَا
طليقًا تراهُ جميعُ العيونْ

* * *

عذرتُكِ فرّي من الأرضِ وابغي
هناكَ المقامَ الرفيعَ الكريمْ
بقربِ النجومِ فإنَّ الحياةَ
مُعطّرة الدنّ بينَ النجومْ
ولا ترحمي الجسمَ فهو ترابٌ
يعودُ لمعدنهِ بعدَ حينْ

* * *

غدًا هو بينَ الربى زهرةً
كسَتها الطبيعةُ لونَ الشروقْ
فحينًا تُقبّلُ نهدًا وحينًا
تُقبّلُ خدًا بلونِ الشفيقْ

فـــيـــا روحُ مـن بيـن تـلـك النجـــومِ
أطلـي عليـــهـــــــــا ولا تنكرينـــي

* * *

أطلي عـلـيـهـــــا رفـيـقـــاً قـديـمـاً
وقـولي ســــلامًـا تردُّ الســـــــلامــا
أأنكـرتِ شـــكـلاً جـــديداً لجـــــسم
غـــــدا لك قــبلَ الـفناءِ مــقــامـــــا
تـلاشـــــيـتُ في هــــــذه الكـائنـات
ولم يـتـــــــــــلاشَ إليــك حنينـــي

١٩٢١

يا نديمي

لا تملْ بي إلى الرجـــــاء فــقـــد
أودى بنفـســي طمــوحُـهـا والـرجـاءُ
يـا نديمـي لا تَـأسَ بـاللـهِ واشـــربْ
لـــذةُ العـيشِ هــذه الصـهـبـاءُ
يا نديـمي تعــزَّ واســـلُ فـقـبـلاً
قـــد عَـفَتْ بـعـد أهـلِهـا الحـمـــراءُ
يا نديـمي إليّ نبكي فــقـد يُـسـعـدُ
قـلبَ الَـنائـي الحــزيـنِ الـبكــــاءُ
إنما الحـــزن مــرسـلُ الشــعــرِ شـعــراً
والحــزانى هــم هـم الشـــعـــراءُ

١٩٢٣

لا تحبيني

لا تحبيني ففي حبي الشقاءْ   يا فتاةْ
واطرديني تطردي عنكِ البلاءْ   في الحياةْ

* * *

من نثيرِ الدمعِ ذا الشعرُ النظيمْ   فاقرأيهْ
رنّةُ الثكلى وأنّاتُ السليم   فاسمعيهْ
ها هو البؤسُ بشخصي ماثلٌ   فالمسيهْ

تلك الأقانيم الثلاثة

في رثاء المنفلوطي والألوسي

المجمع العلمي في دمشق – ١٩٢٤

اللـيـــلُ بعـــــد الـراحلـيـنَ يـطولُ
أو مــا لصـبـغكَ يـا ظـــلامُ نصـــولُ
يطوي الـزمـــانُ النـابغـيـن فـتـنطَوي
لذهـابهـــمْ أممٌ ويـهلكُ جـيــــلُ
قـبـرٌ بعـاصـمـةِ الرشـــيــد وآخـــرٌ
فيَ مـصـــرَ حــقٌّ ســتـورِه التـقـبـيلُ
بدران قـد بكرَ الأفـولُ عليـهـمــــا
ولكـــلِ بـــدرٍ مـشــــرقٌ وأفــولُ
بغـدادُ شـــاكـيـةٌ ومـصـــرُ مُـرِنَّةٌ
والشـــامُ حــاسـرةُ القـنـــاعِ كلولُ
تلك الأقـانيـــمُ الثـلاثةُ واحــدٌ
برديِ الشـــآمِ ودجـلةٌ والـنيــــلُ
قــالوا: السـيــاسـةُ قـلتُ رغمَ دُهاتهـا
ظـلُّ العَــروبـةِ في الربـــوعِ ظـليــلُ
هذا هو الحـقُ الصـراحُ فـحـســبكمْ
قـولُ الـسـيــاســةِ كلُـــهُ تدجـيـلُ

ولقد جزعتُ من السياسة إنها
غولٌ وهل تلدُ السلامةَ غولُ
دينُ السياسةِ جاءَ فيه مبشِّراً
بالمشرقين: الجيشُ والأسطولُ
قولوا لمنْ غصبَ القويُّ حقوقَهُ
السيفُ باستردادِهنَّ كفيلُ

على أطلال الجزيرة العربية

عَفَتِ الديارُ وأنكرتْ قُصّادَها
حيّا الحيا تلك الديارَ وجادَها
تلك الدموعُ قصيدةٌ قد جَوّدَتْ
عيناكَ يومَ فراقِهمْ إنشادَها
من أنّةِ الثكلى أخذتَ رويّها
ومن القلوبِ قد استعرتَ مدادَها
جاءتْ مهذبةَ القوافي ما اشتكتْ
إيطاءَها وزحافَها وسنادَها
الحزنُ أَرْسلها ووقّعَ لحنَها
واختارَ في شوطِ القريضِ جيادَها
غرّاءُ هذّبَها وأحكمَ صنعَها
صَنَعُ البيانُ فأتعبتْ نقادَها
الشعرُ ما ملكَ النفوسَ وهزّها
وأثارَ ثائرَها الكمينَ وقادَها
تتلو الطبيعةُ في الصباحِ قصائداً
بذّتْ بهنَّ لبيدَها وزيادَها
يا نفحةً حملتْ إليَّ من الربى
غبَّ الربيعِ شقيقَها وزُبَادَها

أُمّي الجزيرةَ واسرقي من غيدها
برد الشغورِ على الصبا وبُرادَها

يا لَلْعواصمِ خُطةٌ مغزوةٌ
ملكَ الغريبُ بياضَها وسوادَها

الدهرُ فلَّ سيوفَها هندية
بيضًا وحطّمَ بالقراعِ صِعادَها

يا عصبةَ الأممِ القويةَ حاذري
بأسَ الضعافِ وحَزْمَها وكبادَها

هللتُ للنشءِ الجديد وقد مشى
يَصْلَى الحياةَ وحربَها وجهادَها

تلك المهارُ ولا أكابِدُ لوعةً
إنْ مُدَّ في عمري شهدتُ طرادَها

١٩٢٤

طمع الأقوياء

لا تلمْــــــهُ إذا أحبَّ الشــــــآمــا
طابتِ الشـــــامُ مربعـًا ومـقـامـا
بـــردى والــورودُ فـي ضـفـتـيــــه
مـصـغـيـاتٌ لشـــعـرهِ والخـــزامى
هات حـــدّثْ عن الشـآم وحـــدّثْ
وأطلْ في الحـــديثِ عنهـا الكـلامـا
من أغـــاني طيـورِها ســــاجـعـات
قـــد تعلَّمتُ هــــذه الأنغـــامـا
ليـت شـــعـــري وللسـيـاسـة دينٌ
يرســـلَ النارَ حـجـةً والحســـامـا
أيعــــدُّونَ قـــتلَ شـــــعـبِ حـلالاً
ويعَـــدُّون قـتلَ فـــرد حــــرامـا؟
أرْهِقــونا مــا شــــئـتم واظلمـــونا
وامنعــونـا حـتى الكـرى والطعـامـا
وامـــلأوا هـذه الســـجـــونَ إلى أنْ
تشـــكو من ضـيـوفِـهـا الازدحـامـا

ثم سومــوا السجــودَ تيهًا وكــبـراً
إذْ تـمــرون: شــيــخَنـا والغـــلامـا

لا أخـالُ الأرواحَ تكسِرُ قـيــدَ الأسرِ
إنْ لم تـعـــذبـوا الأجـســامــا

يفـــتـكُ الظلــمُ بالضــعــيفِ ويُردى
بعـــد حـيــنٍ بشـــؤمِـهِ الظــلامــا

١٩٢٤

أهوى الشآم

ألقيتْ فى قاعة المجمع العلمى بدمشق – ١٩٢٤

قفْ بالشآمِ مسائلاً آثارَها
مرحى لمن أمَّ الشآم وزارَها
أفدي مهفهفةَ القوامِ أسيرةً
تشكو القيودَ فمنْ يفكُّ إسارَها
لا تكذبِ الأممُ القويةُ إنها
باسمِ الحضارةِ ثَقَّفَتْ خَطَّارَها
مرحى لناشئةِ الشآمِ ومرحبًا
بالنشءِ إنْ عثرتْ أقالَ عثارَها
بردى أدارَ عليكمُ صهباءَه
وجلتْ عرائسُهُ لكمْ نوّارَها

فترقبوا الغارات من أيتامها

خلّوا الشـــآمَ وداميـات كـلامهـا
لا تهـتكـوا الأسـتـارَ عن آلامِـهـا
ولقـــد أرادَ بهـا القـوي تحكمًـا
فـتنمـرّتْ أنفـًا على حكامِـهـا
ورأيتُـهـا ظـمأى الجـوانـح لـلعُلى
فـعلى الدمِ المهـراقِ بلْ أوامِـهـا
يا ابنَ الشـآم ومـا نـظمتُ قـصـائدي
إلا لهـزِّ عـراقـهـا وشـآمِهـا
تشـدو الحـمـائمُ في الشـآمِ وإنما
أنغـام هـذا الشـعـرِ من أنغـامِهـا
من ليس يمنعُ حـقّـهُ في حـربهـا
هيـهـاتَ يمنـعُ حـقّهُ بسـلامِـهـا
هيـهـاتَ تنخـذلُ الشـآمُ وقـد بدا
أثرُ القـراعِ على شبـا صـمصـامِـهـا
ووراءَ حـقِ الغـوطتين عـصـابةٌ
آسـادُ غـابتـهـا شـموسُ ظـلامِـهـا
إنْ تقـتلـوا آباءَهـا بسـيـوفكمْ
فـتـرقَبـوا الغـاراتِ من أيتـامِـهـا
١٩٢٣

تحية الشباب

ألقيت في جمعية الشباب العربي في مدرسة اللاييك الفرنسية

بيروت – ١٩٢٤

غَضٌّ الشباب وإنْ تلنْ عذباتُهُ
خُلقتْ لإدراكِ المنى عزماتُهُ
نفحاتُ لبنانَ الأشمِ عَليلُهُ
وحِمى الجزيرة عذبةٌ نفحاتُهُ
واضيعةَ الوطنِ الصغيرِ تعددَتْ
أديانُهُ وعروشُهُ ولغاتُهُ
هذا أسيُرك يا مذاهبَ ملَّةُ
عضُّ القيودِ، ألمْ يئنْ إفلاتُهُ؟
إني عبدتُ الله، لا نيرانُهُ
سرُّ التقى عندي ولا جناتُهُ
والعقلُ دلَّ عليه لا قرآنُه
في آيهِ الكبرى ولا توراتُهُ
الدينُ دينُ الحبِ فهو عقيدتي
ولو انّهُ في الشرقِ قلَّ دعاتُهُ

والأفـــقُ أقـــرأُهُ كـتـابًا مُنـــزلاً
نعْـــمَ الكتــابُ نجـــومُـه آيـاتُـهُ
بيتُ العـــروبةِ حين أســـجَدُ قـبلتي
لا طورُهُ قـــصـــــدي ولا عـرفـاتُـــهُ
من بعضِ أســـمــاءِ العـــروبة أرزُهُ
يومَ الفـــخـــارِ ونـيلُـــــهُ وفـراتُــهُ
كـالـروضِ ملتفٍّ الخـــمـائلِ ناضـــراً
مـــا ضـــرّهُ لو نُـوِّعـتْ زهـراتُـــهُ
* * *
حـــسبــي إذا ذُكِـرَ القـريـضُ وأهلُهُ
شـــعـــرٌ شـــبـابُ الـغـوطـتين رواتُهُ
سـكروا وقـد أنـشـدْتُ غـرَّ قـصـائدي
فـهي الـرحـيـــقُ طـهـورُهُ رشــــقـاتُهُ
لا تتـركـوا المرآةَ غيـرَ صـقـيلـــــة
الشـــعـبُ روحُ شـــبـــابِهِ مـــرآتُهُ

تعالوا نعدّ الصيد

ألقيت في قاعة المجمع العلمي بدمشق ١٩٢٤/٥/٣١

أهــذي مغـــاني جِلّق والمعــالمُ
لكَ الخيـرُ أم هلْ أنتَ وسنـانُ حـالمُ؟
هنا عـرشُ أقـمـارِ العُلى من أميـــة
هنا ارتـكزتْ سُـمـرُ العــوالي اللهــادمُ
بني الغـربِ هاتوا شـاهـدًا عند زعـمكمْ
بغـــيرِ دليـــلٍ لا تـقـــومُ المزاعـــمُ
تعــالوا نعــــدُّ الصيــــدَ منا ومـنكمُ
فـفي الناسِ مـقبـولُ الحكــــومةِ عـالمُ
إذا ظلَّ مـجـدُ العـربِ في الشــامِ سـالمًا
فـمجـدُ بني قـحطانَ في الشـرقِ سـالمُ
سـلامًـــا عـروسَ المشـرقـين ولا مـشتْ
بظـــلِ مـغـانيك الخطوبُ الغـواشـمُ
خذي قلّـدي ما شئتِ جـيدًا ومـعْصـمًا
مـن اللـؤلؤِ الـرطبِ الـذي أنـا ناظــمُ

شعاع العيون

دمعةٌ من لحاظِ هيفاءَ خَوْدٌ
تخلقُ العطفَ في قلوبِ القساةِ
بسمةٌ في الحياةِ من شفتيها
تبعثُ النورَ في ظلامِ الحياةِ
لمسةٌ من بنانِها وهْو رخصٌ
بردُ تلكَ الجوانحِ الظامئاتِ
نفحةٌ من نهودِها سرٌّ ما
ننشقُ بين الربى من النفحاتِ
هي سِرُّ الحياةِ، أنشودَةُ الله
شِفاءُ الداءِ العَصِيِّ الكَمينِ

١٩٢٤

مراجع تتعلق بالشاعر وبشعره :

١- بدوي الجبل : شاعر العربية والعرب، أكرم جميل قنبس.
٢- بدوي الجبل: حياته العاصفة وحبه الذي لا يفنى، عدنان الخطيب.
٣- الشعراء الأعلام في سوريا، سامي الدهان.
٤- شعراء سورية المعاصرون، سامي الكيالي.
٥- بدوي الجبل حياته وشعره، محمد الخطيب.
٦- شعراء سورية، أحمد الجندي.
٧- عشت مع هؤلاء، عبد الله يوركي حلاق.
٨- يحدثونك عن أنفسهم، هاني الخير.
٩- بدوي الجبل، مدحت عكاش.
١٠- المراحل، عبد الرحمن الكيالي.
١١- جريدة دولة العلويين الرسمية.
١٢- تاريخ الثورة العلوية، عبد اللطيف اليونس.
١٣- وادي الدموع، محمد عباس.
١٤- الجريدة الرسمية للجمهورية السورية.
١٥- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق..

إضافة إلى ما ذكرنا في الهوامش من الكتب والدوريات، ونشير إلى أن مدحت عكاش قد ذكر في كتابه منذ عام ١٩٦٨ أنه سمع عن أطروحة جامعية تُحضَّر في مصر عن بدوي الجبل وشعره، وأخرى في باريس، وثالثة في دمشق.

الفهرس

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة
السراب المظلم	١٥٨
النبع المسحور	١٦١
صوفية	١٦٤
جسد	١٦٦
أيها المعرض عني	١٦٨
خالقة	١٦٩
سيذكرني	١٧١

الموضوع	صفحة

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٦٩٧ / ٢٠٠٢

إيه يا سعدُ زادكَ اللهُ سعداً ... ابنِ ما شئتَ للكنانة مجدا
قبلَ مصرَ وقبلَ بُعْدكَ عنها ... ما عرفنا المحبَّ يحمدُ بُعْدَا
زادَها النيلُ بهجةً وجمالاً ... وحباها فيها سلامًا وبُرْدَا
وظباءٍ مثلِ الملائكِ طُهراً ... ما هوتْ غير مصر قبلاً وبَعْدَا
إيه شوقي يا ساجعَ النيلِ غرِّدْ ... وامنحِ النيلَ من مغانيكَ عقدا
ذَبُلَ الرَّنْدُ والأقاحُ فأنعشْ ... بأغاني الهوى أقاحًا ورَنْدَا
إنْ تجرِ يا نيلُ بعدَ اليومِ فاجْرِ دمًا ... على رُبى مصرَ وابكِ التاج والعلما
ماذا دَها مصرُ حتى ريضَ جانحُها ... وما دها شعبَها المظلومَ فانقسما ؟
ويلي بمصرَ على شعبٍ إذا فَغَرتْ ... له المظالمُ فاهًا ظلَّ مبتسما
أبناءَ مصرَ يفي مصرًا وتربَها ... قطرٌ يسيلُ على الأرجاءِ منسجما
يا سعدُ يا سعدُ والأقدارُ غامضةٌ ... والله سعدُكَ ما ولّى وما انهزما
ويل السياسةِ ما أوهى مودتَها ... تقضي فلا موثقًا تر